

المجتمع الإسلامي المعاصر
(١) المدخل
الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الأستاذ علي لبن
الوفاء
للطباعة والنشر

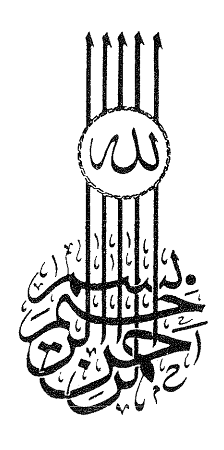
المجتمع الإسلامي المعاصر

المجتمع الإسلامي المعاصر

(١) المدخل

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

الأستاذ علي لبن


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن عمل بهديه إلى يوم الدين ، الحمد لله الذى قال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ .

أما بعد ..

فنتناول فى هذا الكتاب موضوعات مادة التربية الوطنية والمجتمع الإسلامى المعاصر ؛ لنثبت من خلال دراستها ، أن ما قام به المطورون ليس فى حقيقته إلا تضليلاً ، وضحكاً على الذقون . فعلى الرغم من أن هدف هذه المادة هو تعميق الولاء والانتماء للوطن والعقيدة وتوسيع رقعة التعرف بأجزاء الوطن الإسلامى المعاصر لدى الطلاب ، فإننا نلاحظ أن المطورين قد ارتكبوا فى حق وطننا وأمتنا ما يأتى :

أولاً : ألغى المطورون مادة التربية الوطنية من مرحلتى التعليم الابتدائى والإعدادى ، وقد تم ذلك خلسة ، ومن خلف ظهر موجهى المادة وخبرائها . وكلنا يعرف مدى أهمية تعليم النشء قيم الولاء وحب الوطن والدين فى هذه السن المبكرة .

ثانيًا : جَمَّد المطورون مادة المجتمع الإسلامى فى مرحلة التعليم الثانوى الأزهرى ، مع الإبقاء على مسمى المادة وهو «الدعوة والمجتمع الإسلامى» . وكلنا يعرف مدى أهمية تعريف طلاب الأزهر بأحوال المجتمع الإسلامى الذى يجوبون أرجاءه داعين إلى الله -تعالى- ومرشدين .

ثالثًا : حذف المطورون من مادة التربية الوطنية والمواد الاجتماعية بالمرحلة الثانوية كل ما له صلة بحضارة الأمة وتراثها، ولم يبقَ من ذلك إلا النذر اليسير. فقد حذف من المقررات دور كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والحركات الإصلاحية (السنوسية والمهدية والوهابية) فى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وتحكيم الشريعة، ومقاومة الاستعمار ، كما حذف دور طلعت حرب فى الوقوف ضد الاستعمار

الاقتصادى، ودور مجلس التعاون العربى وغيره من المنظمات العربية التى كانت تهدف إلى حماية الصناعات العربية من السلع الأجنبية المنافسة ، وتحقيق التكامل الاقتصادى العربى . وحذف أيضاً موضوع فضل الحضارة العربية والإسلامية على أوربا ، فى حين أبقوا موضوع فضل الحضارة الأوربية علينا . وهكذا عملت المناهج الجديدة على ترسيخ التبعية والشعور بالدونية لصالح الغرب وثقافته ، وهو ما يتنافى مع أهداف مادة التربية الوطنية .

وفوق هذا قام المطورون – دون حياء – بتكليف الخبراء الأمريكان بتأليف كتبنا الخاصة بالتربية الوطنية . حيث ذكروا فى كتاب الصف الثالث الابتدائى لمادة الأنشطة البيئية أن الدول التى تتعاون مع مصر هى : أمريكا وبريطانيا واليابان وغانا وأستراليا ، هكذا دون ذكر أى دولة عربية أو إسلامية . وقد قام بتأليف هذا الكتاب اثنان من الأمريكان هما «إيفرت كتش ، وديفيد بتس» .

وقد قمنا فى هذا الكتاب بنقد ما قام به المطورون من طمس للحس الوطنى والإسلامى فى كتب التربية الوطنية وغيرها .

أما كتبنا التالية فسنعرض فيها –إن شاء الله– لأوضاع المسلمين فى قارات العالم المعاصر ، ثم نختم بكتاب عن المجتمع الإسلامى فى العصر النبوى وصدر الإسلام لنقيس عليه أحوال مجتمعاتنا المعاصرة ومدى قربها أو بعدها منها . كما عرضنا المنهج البديل الذى نقترح تدريسه بمدارسنا ومعاهدنا ، وهو نفس المنهج الذى تقرر تدريسه بالمعاهد الأزهرية الثانوية منذ عام ١٩٨٩م ولكنه جُمِّد لأسباب مجهولة .

القسم الأول
نقد المنهج الحالى للتربية الوطنية

المنهج الحالى يعمل على محو الهوية ويروج لثقافة الغرب

أولاً : مناهج وزارة التربية وموقفها من قضية الانتماء

١– أمثلة من مادة التربية الوطنية

قامت وزارة التربية والتعليم بعمليات حذف وبتر لكل الموضوعات الدراسية التى تهدف إلى تعميق الحس الوطنى وتأصيل الهوية . وفيما يلى أمثلة ونماذج لما حذف من الكتب الدراسية الخاصة بمادة التربية الوطنية .

أ– المرحلة الابتدائية والإعدادية :

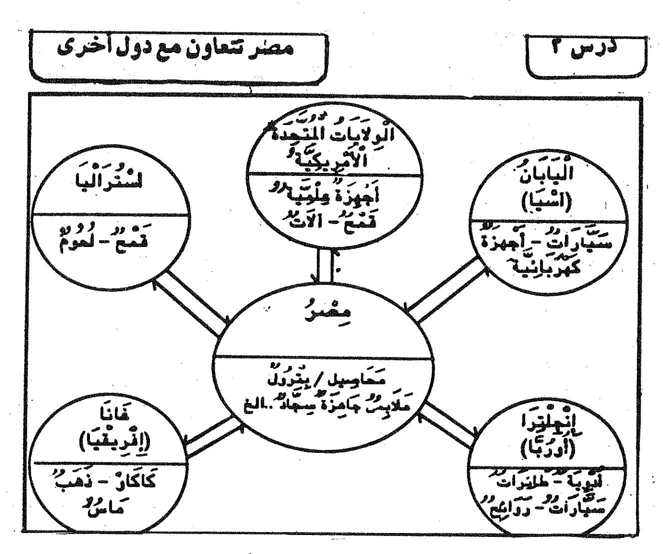
ألغيت مادة التربية الوطنية بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية رغم دور هذه المادة فى تقوية الحس الوطنى وتنمية الانتماء . وبعد إلغائها ظهرت كتب المعلومات والأنشطة بمشاركة المؤلفين الأمريكيين ، وهذه الكتب تعمل على تغييب هوية الأمة وانتمائها ، وأحياناً تسخر منها وتزدريها ، وفى نفس الوقت تروج للمفاهيم التغريبية كما تعمل على خطف أبصار الأطفال ببريق الحضارة المادية وتنفيرهم من الرموز الإسلامية ، فمثلا :

١– في كتاب الصف الثالث الابتدائى (ص : ٣٢ – ٣٤) :

موضوع المعالم الطبيعية والحضارية في البيئة : وقد عرض ثمانى صور لبعض معالم مدينة لندن وباريس ونيويورك ، وكلها ليست من بيئة الطفل كما يدّعى عنوان الدرس . ولم يأتِ من بينها صورة واحدة لبيئة عربية أو إسلامية ، وهى الأقرب إلى بيئة الطفل ، كل ذلك لطفل فى سن الثامنة يحتمل ألا يكون قد تعرف عاصمة محافظته ، فضلاً عن عواصم الدول العربية والإسلامية .

يُضاف إلى ذلك افتراض أن المعلم يعرف هذه المعالم التى جاءت فى الصور للعواصم الأجنبية ، وهذا افتراض غير مؤكد .

وهناك درس آخر (ص : ٨٩) بعنوان « مصر تتعاون مع دول أخري » وقد عرض فيه الشكل الآتى :



وواضح من الشكل عدم وجود أية دولة عربية أو إسلامية ضمن الدول التى تتعاون معها مصر ، بل إن على رأس هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية ، والمفروض أن تعمق التربية فى هذه السن المبكرة الانتماء ولا تؤكد التغريب ، ونحن نسأل : ونحن نسأل : أيهما أولى للطفل فى هذه السن المبكرة : أن يعرف الدائرة العربية الإسلامية التى يعيش فيها ، أم يعرف أولاً أمريكا وفرنسا وإنجلترا وأستراليا وغانا واليابان ؟ وإذا لم يكن هذا تغريباً فماذا يكون التغريب ؟

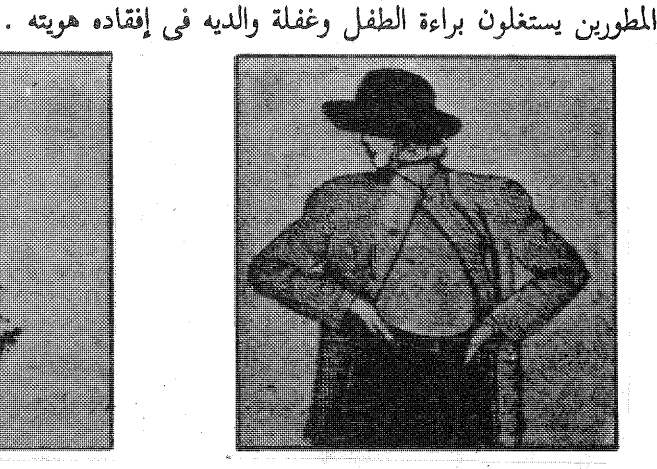
*كما يتضح من الدرس أن مصر لا تصدر إلا المواد الخام والمنسوجات فقط ، وتعتمد علي الغرب وغيره فى استيراد الأجهزة والآلات والقمح والأدوية وغير ذلك مما يُظهر مصر بمظهر الدولة المعتمدة على غيرها الخاملة صناعياً واقتصادياً . مما يجعل الطفل ينكمش على نفسه ويخزى أمام حضارة الغرب الغازية .

* وفى درس آخر من هذه الوحدة (ص : ٩٤) يتأكد المعنى الانهزامى نفسه بعرض صورة لمعرض سيارات فخمة وقد كتب أسفل منها أماكن صناعتها ، وهى : إيطاليا – ألمانيا – فرنسا – اليابان ، ثم يطرح على التلاميذ الأسئلة الآتية : هل توجد فى مصر صناعة سيارات ؟ وكيف تسد مصر حاجاتها من السيارات ؟ وهكذا إيحاءات بالدونية لبلادنا دون إضافة بارقة أمل فى التقدم.

* هذا بالإضافة إلي أن غلاف الكتاب عليه صورة ملونة لأطفال يبدو علي سحنتهم وألوانهم أنهم غربيون ، وهكذا يوحون إلينا بتحقير حتى جلدنا وسحنتنا !!

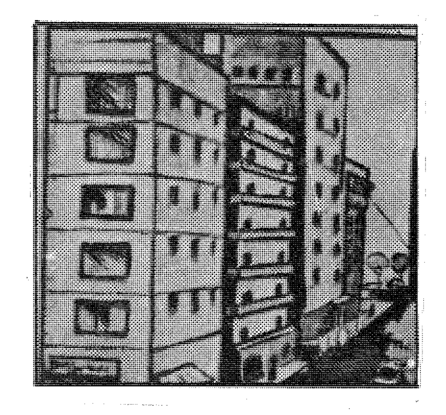
* وهناك درس آخر (صـ: ١٤٧) بعنوان «أشكال الملابس عند بعض الشعوب»

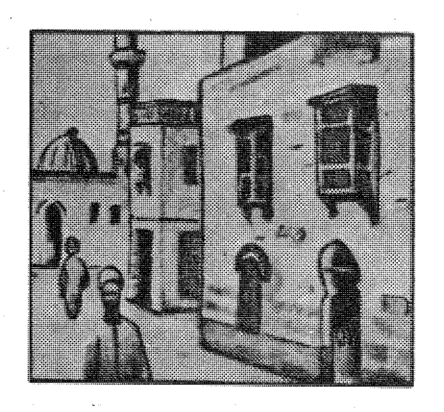
عرض فيه الشكل الآتي فتأمله : هل المقارنة عادلة بين ملابس فلاحة مصرية عاملة ، وملابس مانيكان أوربية مرسومة ومبالغ فى تزيينها ؟ لماذا لم يأتِ بملابس أوربية عاملة بدلاً من هذه المانيكان ؟ وأى نوع من الملابس سيكون له الوقع الحسن فى نفس ابنتى وابنتك بعد هذه الفبركة المفضوحة والإيحاء المكشوف لصالح التغريب ؟ إن المطورين يستغلون براءة الطفل وغفلة والديه فى إفقاده هويته .





٢ – في كتاب الصف الثاني الابتدائي (ص : ٨٠) درس بعنوان « بيتنا بين الماضي والحاضر » يتضمن هاتين الصورتين والأسئلة التى أسفل منهما :





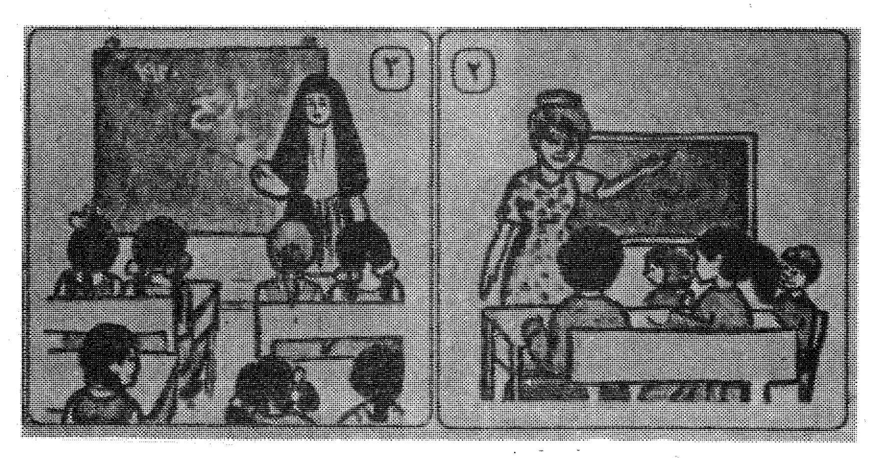
نلاحظ في المنظر ما يأتى :

* صورة الحى القديم يظهر فيها مسجد وطفل متوجه إلى باب المسجد ، كما

تظهـر شبابيـــك المنـــازل بسواتـر خشبيـــة (مشربيات) .

* صورة الحي الحديث وقد اختفى منه المسجد والعمارة الإسلامية ، فهل الحداثة هى اختفاء المسجد من عمارة المجتمع وإلغاء العمارة الإسلامية التى تستر بداخلها العورات ؟ وهل تغنى السيارات الفارهة والمسكن الهنىء والطريق الممهدة - وكلها ماديات - عن الجانب الروحى ومظاهر الحشمة ؟ هل هناك تعارض بين العمارة الحديثة وبناء المساجد وستر العورات ؟ أم أن الهدف هو تربية أجيال تنسى قيمها ، وتعشق العادات الغربية كالسفور والتبرج ؟

٣ - في كتـاب الصف الأول الابتدائي (ص: ١٢٩) درس بعنوان « مدرسـة جدى» ، وهو يتضمن الصور الآتية :

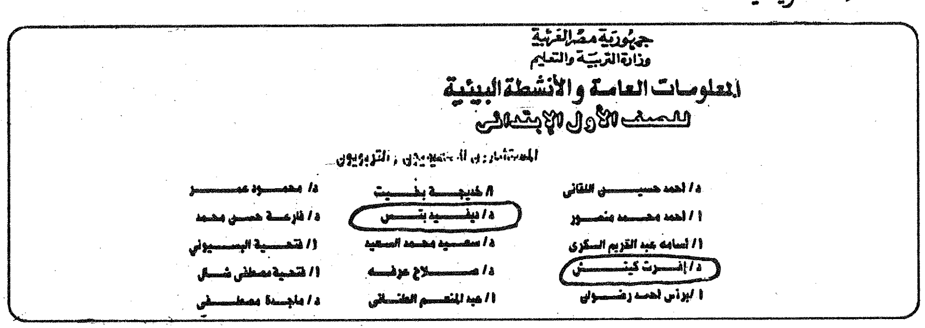


ولا شك أن هناك إيحاءات من الصورتين أبرزها:

* أن السفور والعرى أفضل من الحجاب والاحتشام .
* أن الحجاب موضة قديمة انتهت منذ أيام جدى وأن السفور هو لباس العصر.
* أن الاختلاط بين البنين والبنات أفضل .
* أن المعلمة المتدينة رديئة الخط ، عابسة الوجه وأن المعلمة المتفرنجة جميلة الخط باسمة الوجه .
* أن كتابة التاريخ الهجرى رجعية وتخلف .

وهكذا وضعت الرموز الوطنية والإسلامية فى مقابل الرموز الغربية ، سواء فى الملابس أو العمارة ، بهدف إظهار الأولى بمظهر المتعارض مع التقدم والمدنية، وذلك بأسلوب إيحائى غير مباشر .

وقد تكرر نفي المسئولين في الوزارة تدخل الأمريكان في مناهجنا . ونحن نريد أن نصدق ذلك ، ولكن ظهور كتب المعلومات العامة والأنشطة وعلى غلافها اسمان لمؤلفين أمريكيين ضمن (٢٦) مؤلفاً مصرياً برئاسة د.كوثر كوجك رئيسة مركز التطوير بالبرج الفضى بالقاهرة ؛ يؤكد ذلك التدخل . وفيما يأتى صورة الغلاف الداخلى وعليه الأسماء الأمريكية .



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم

المعلومات العامة والأنشطة البيئية
للصف الأول الإبتدائي

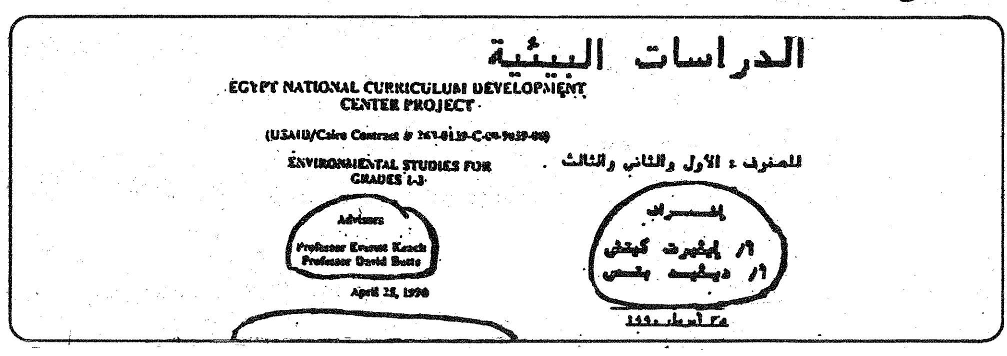
المستشارون العلميون والتربويون

د/ احمد حسين اللقاني	ا/ خديجة بخيت	د/ محمود عمر
ا/ احمد محمد منصور	د/ ديفيد بتس	د/ فارعة حسن محمد
ا/ اسامه عبد الكريم السكرى	د/ سعيد محمد السعيد	ا/ فتحية البسيوني
د/ إفرت كيتش	د/ صلاح عرفه	ا/ فتحية مصطفى شال
ا/ [illegible] احمد رضوان	ا/ عبد المنعم [illegible]	د/ ماجدة مصطفى

* ألا يعتبر هذا وصمة في جبين مصر ، وفي جبين خبراء التعليم الوطنيين ، وأساتذة التربية المصريين ، حين يتتلمذ أبناؤنا على القيم الأمريكية ، بينما نقف نحن جميعاً موقف المتفرجين ، مقابل بضع ملايين من الدولارات ؟

* هذا بالإضافة إلى عرض صور لأطفال من بيئات غربية على أغلفة الكتب، بجانب أسماء مؤلفيها من الأمريكان، مما يعد تبجحاً وإعلاناً سافراً للأهداف الخفية للتطوير ، وفيها تزييف الوعى وتسميم الذاكرة وتزيين الانفصال عن الجذور الإسلامية.

* والأغرب من ذلك أن الخبيرين الأمريكيين هما وحدهما صاحبا الكتاب الأمريكى الأصلى ، دون باقى المؤلفين المصريين الذين جاءت أسماؤهم لمجرد إبعاد الشبهات ، كما هو واضح من الوثيقة الآتية ، وهى صورة لغلاف الكتاب الأمريكى الأصلى وترجمتها .



الدراسات البيئية

EGYPT NATIONAL CURRICULUM DEVELOPMENT
CENTER PROJECT

(USAID/Cairo Contract # 263-0139-C-00-9039-00)

ENVIRONMENTAL STUDIES FOR
GRADES 1-3

للصفوف : الأول والثاني والثالث .

Advisors

Professor Everett Keach
Professor David Butts

April 25, 1990

إشراف

أ/ إيفيرت كيتش
أ/ ديفيد بتس

٢٥ أبريل ١٩٩٠

ونحن لا نرفض أن نستفيد من أى خبرة أجنبية فى مجال صناعة الكتاب وشكله وإخراجه ، لكننا نرفض بإصرار أى تدخل أجنبى فى مناهجنا ؛ لأن التعليم هو عقل الأمة وشرفها ، وما يصلح لبيئة خارجية قد لا يصلح لنا ، وخصوصاً فى مجال العلوم الإنسانية .

*** وتصف الصحفية النابهة «مايسة عبدالرحمن» هذه الكتب في أهرام (١٩٩٣/٣/٢١م) فتقول :**

« هذه الكتب ، تجتث كل ذرة انتماء عند أبنائنا لأرض هذا الوطن من جذورها تدريجياً ، وبمهارة وذكاء شديدين ، وتطلق عيونهم وأفئدتهم هناك ، حيث التقدم والأجهزة الكهربائية والألعاب الحديثة ، فى أوربا وأمريكا ، فهى تبدأ مع طفل السادسة فى الصف الأول الابتدائى ، قبل أن تتفتح عيناه على الحياة ، أو يكتسب أى خبرات ، فتنفره من بيئته وتراث أجداده ثم تنتقل معه فى العام التالى لتؤكد على التنفير من كل ما هو قديم وتراثى ووطنى ودينى، وتثبت فى ذهنه أن مقياس التقدم والحداثة هو امتلاك الأجهزة الكهربائية والألعاب الحديثة والملابس الجميلة التى لا توجد إلا هناك فى أوربا وأمريكا... ثم ماذا ننتظر من هذا الطفل المسكين بعد ذلك؟! وبخاصة بعد عرض صور المسجد والشيخ والملابس المحتشمة ذات الطابع الإسلامى والمشربيات التى تحمى الأعراض على أنها من مظاهر التخلف التى يجب تغييرها؛ لأنها تمثل الماضى كما تبدو من الصور المعروضة، والأجوبة المتوقعة» انتهى كلام الباحثة ميسة عبد الرحمن.

*** ويصف الأستاذ فهمي هويدي هذه الكتب في أهرام (١٩٩٣/٤/٦م) فيقول :**

« إن فضيحة هذه الكتب تتمثل فى أنها تقوم على الرسوم التوضيحية والصور ذات الإيحاءات التى تنفر الطفل من نموذج ونمط حياته الشرقى ، بحيث يظل النموذج الغربى مستقراً فى وعيه ؛ باعتباره الأفضل والأمثل ، رغم أنه مقطوع الصلة بانتمائه العربى والإسلامى ، وهكذا تسهم هذه الكتب فى تشويه وعى الطفل وتسميمه ، بحيث ينمو نافراً من بيئته ونموذجه الحضارى ، ومتعلقاً ومبهوراً بالنموذج الأوربى ... وإزاء هذا الجهد الحثيث المبذول لطمس هوية الطفل ، وتجريح علاقته ببيئتــه ومجتمعــه ؛ لا يستطيع المرء أن يفترض البراءة فيما تم ، بل لا يستطيع أن يخفى توجسه الشديد مما

جرى ، وقلقه الأكبر من عواقب ذلك . إن قلقنا ليس على ديننا فللدين رب يحميه ، لكنه قلق على دنيانا التى لا يكون لنا فيها مكان أو كيان اذا ما استسلمنا لدواعى الانخلاع والانسحاق التى تتراءى شواهدها تحت أعيننا . إن التعليم الذى ينتج لنا شباباً ضائعاً عديم الانتماء ، يقدم للتطرف والارهاب هدية لم يحلم بها يوماً ما ، حيث لا يخطر على بال عاقل أن تكون المؤسسة التعليمية هى المصدر الرئيسى الذى يوفر للإرهاب خاماته بتلك الكميات المعتبرة وبالمجان .» انتهى كلام أ . فهمى هويدى .

* وإذا كنا نشيد بالتوصية التى أصدرها مؤتمر تطوير التعليم الابتدائى الذى عقد فى فبراير (١٩٩٣م) برئاسة السيدة زوجة رئيس الجمهورية ، والخاصة بإلغاء هذه الكتب الأمريكية الصنع من الصفوف الثلاثة الأولى للتعليم الابتدائى ، كما نشيد بالتصديق الذى أصدره المجلس الأعلى للتعليم قبل الجامعى على هذه التوصية ؛ فإننا نؤكد أن هذه التوصية لن تنفذ ؛ لأن السيد الوزير صرح فى منشور رسمى وزع أخيراً على المدارس بأنه لا تغيير فى مناهج العام القادم بالمرحلة الابتدائية ١٩٩٤/٩٣م.

ب- أمثلة من المرحلة الثانوية :

(١) فى كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى :

حذف من طبعة (٩٢ - ١٩٩٣م) فى عهد د. حسين كامل ما يأتى :

أ- موضوع : الجامعة الإسلامية « الوحدة الإسلامية » :

حذف منه دور «جمال الدين الأفغانى» و«محمد عبده» وغيرهما ممن دعوا إلى الوحدة الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية ، ولم تبق إلا عبارات قليلة فى الموضوع . كما حذف فضل هؤلاء فى التمهيد لفكرة القومية العربية (انظر ص : ٧٨ من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى ط ٩١ - ١٩٩٢م) .

ب- موضوع « عوامل ظهور فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية » :

حذفت هذه الفقرة : « كانت هناك رغبة فى الرجوع إلى الإسلام الحقيقى النقى الذى ضاعت معالمه حديثاً ، ودور كل من الحركات الوهابية والسنوسية والمهدية فى تحقيق ذلك ، ودورها أيضاً فى التمهيد لفكرة الجامعة الإسلامية التى تعلقت بها قلوب المسلمين لاستعادة قوة الإسلام ، والوقوف ضد الاستعمار الأجنبى » . (انظر ص: ٧٨ من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى ط ٩١ - ١٩٩٢م) .

جـ- موضوع : « تيار بعث السلفية » :

حذف منه أكثر من خمس صفحات ، ولم يبقَ إلا أقل من نصف صفحة ، ومما حذف : « إن المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية أخذوا يفكرون فى كيفية تجاوز الانتكاسات التى مرت بها الأمة ، ومن هؤلاء المفكرين محمد بن عبد الوهاب فى نجد الذى نادى بمحاربة البدع ، وترسيخ عقيدة التوحيد الخالية من خرافات الدراويش وشطحاتهم ، ومحمد بن على السنوسى فى ليبيا ، الذى نادى بتطبيق الكتاب والسنة ، وتوحيد كلمة المسلمين ، وعدم قصر المسجد على العبادة ، وضم المدرسة والمزرعة والمتجر إليه ؛ لأن الإسلام دين ودولة ، والداعية مسئول عن تدبير شئون الدين والدنيا . ومحمد أحمد بن عبد الله الملقب بالمهدى فى السودان الذى دعا إلى العودة إلى الكتاب والسنة ، كما دعا إلى تكامل الحياة الدينية والسياسية ، ومحاربة الخرافات ... إلخ » . (انظر ص : ٢٠ من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى ط ٩١-١٩٩٢م) .

فلماذا يُحرم الشباب من معرفة مثل هذه الحركات الإصلاحية المعتدلة التى مهدت لظهور فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية ، وقاومت الغزاة والمستعمرين ؟ ولماذا حذف موضوع الخوارج الذى عرض كنموذج للفكر المتطرف ، وبالمثل حذف موضوع الشيعة بإيران ؟

(د) موضوع « تطور وانتشار فكرة الجامعة الإسلامية» :

حذف منه هذه الفقرة : « كانت حركات الإصلاح الدينية السابقة تمثل مقدمات لظهور فكرة الجامعة الإسلامية ؛ لأنها اهتمت بإصلاح الدين من جهة ، والدولة من جهة أخرى ، ليصبح هدف الإصلاح هو المجتمع الإسلامى كله . وقد حمل لواء الدعوة إلى هذه الفكرة الإصلاحية ، وتأسيس الجامعة الإسلامية جمال الدين الأفغانى الذى ولد عام (١٨٢٨م) فى بلاد الأفغان، وكرس كل حياته وجهاده لهذه الدعوة ، متنقلاً فيما بين الدول الإسلامية لجمع شمل المسلمين فى كل أقطار العالم تحت لواء جامعة واحدة ، وإقامة الحكم وفقاً لمبادئ الإسلام فى الشورى والعدالة ، على أن تكون زعامة الجامعة الإسلامية لأى مسلم صالح ، دون اشتراط أن يكون عربياً ، والعمل على

تجديد الإسلام ، وتحريره من الجمود ، وتنقيته من الشوائب ، واستعادة مجده السابق . وكان الأفغانى – بعد كثرة تنقلاته – قد استقر فى مصر ، وجعلها مركزاً لنشر دعوته الجديدة ، إلى أن تم نفيه منها لخطورته السياسية والدينية . لكنه رغم ذلك استطاع أن يؤسس مدرسة فكرية إسلامية فى مصر ، استكملت مسيرته فى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وكان من أقطابها : عبد الرحمن الكواكبى ، والشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا » . انتهى . ونسأل الآن : لماذا حذف كل هذا ؟

هـ- حذف موضوع « مصير فكرة الجامعة الإسلامية» : ونصه ما يأتى :

«كان الحكم الاستبدادى هو العقبة التى وقفت عائقاً أمام انتشار هذه الفكرة ، إلى جانب سيطرة الاستعمار الذى بدأ ينهش فى جسد الخلافة العثمانية ، وأراد أن يرث ممتلكاتها . حيث تحقق له ذلك وتم تقسيم العالم الإسلامى العربى إلى دويلات صغيرة وضعيفة يمكن السيطرة عليها والتحكم فيها . وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية فى تركيا عام (١٩٢٤م) لم تستطع أية دولة إسلامية أن تحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ثانية ، وذلك بسبب ضعف المسلمين، وانتشار الاستعمار، وظهور النزاعات الإقليمية والطائفية فى المنطقة . وقد انتهى الحال بفكرة الجامعة الإسلامية إلى أن أصبحت فى ذمة التاريخ ، لكن بعد أن أثارت الوعى بين شعوب المنطقة، ومهدت الطريق بعد ذلك لظهور فكرة الوحدة العربية» . انتهى . (انظر ص : ٨١ من المرجع السابق ط ٩١ - ١٩٩٢م) .

الهدف من وراء الحذف : من الواضح أن الأجزاء المحذوفة ليست شيئاً هامشياً يمكن الاستغناء عنه بل قصد من وراء الحذف إلغاء أفكار مهمة مثل :

١- دور الإسلام فى إصلاح المجتمع ونهضته - ٢- مبادئ الإسلام القائمة على الشورى والعدل -٣- الخلافة وأثرها فى وحدة المسلمين - ٤- دور كل من «جمال الدين الأفغانى» و«محمد عبده» فى الإصلاح الدينى والسياسى .

(٢) في كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى : (طبعة ٨٨ - ١٩٨٩م فى عهد الدكتور فتحى سرور) حدث ما يلى :

موضوع التأثير المتبادل بين الحضارتين العربية الإسلامية والأوربية :

حذف منه موضوع أثر الحضارة العربية الإسلامية فى أوربا وعدد صفحاته ست صفحات فى حين أبقى أثر الحضارة الأوربية فى المجتمع المصرى ؛ بحجة أن أثر الحضارة العربية الإسلامية فى أوربا معروض بكتاب التاريخ ، والواقع أن المعالجة فى كتب التاريخ تختلف عن المعالجة فى كتب التربية الوطنية . كما أن الأمانة العلمية تقتضى ذكر طرفى التبادل بعدالة وإنصاف ، أما حذف أثر الحضارة العربية الإسلامية وحدها فلا يتفق مع الحقيقة والموضوعية .

واذا كانت الطبعة الجديدة قد أعادت صفحة ونصفًا فقط مما حذف ، فلماذا لم تعد في الطبعة الجديدة العبارات الأخرى التى سبق حذفها وهى مهمة ، مثل :

* **العبارة التي تقول « إن العلاقة العضوية بين مصر والسودان هي وحدة العقيدة والتاريخ »** لماذا حذفت هذه العبارة من (ص : ١٣٥ ط ٨٨- ١٩٨٩م) .

* **حذفت من (ص: ٩٥) العبارة التي تقول « كان تاريخ الأمة العربية متشابهًا ومشتركًا منذ بداية انتشار الإسلام وحتي الحرب العالمية الثانية »** أى حتى تمكن الاستعمار من بلادنا بعد إسقاط الخلافة العثمانية، هل حذفت العبارة لأن فيها تذكيرا بفريضة الخلافة المضيعة؟

* **حذف من (ص: ١٠٠) من أسفل صورة الكعبة المشرفة عبارة « الإسلام هو الذي يمثل القوة الروحية بالنسبة للقومية العربية »** ونتساءل لماذا حذفت هذه العبارة ؟ هل لأن فى الإسلام ما يشين ؟ وهل كان للعرب قيمة قبل الإسلام ؟ ألم يكونوا عمالاً على هامش التاريخ حتى أعزهم الله بالإسلام ؟

* **حذف من (ص : ١٠٧) عنوان « عوامل ركود العالم العربي حديثًا »** ومن تلك العوامل المحذوفة « تجزئة العالم الإسلامى ، وقيام خلافة أموية بالأندلس ، وخلافة فاطمية بمصر بجوار الخلافة العباسية مما أدى إلى انهيار الخلافة الإسلامية ، وتفتيت العالم الإسلامى وتحويله إلى دويلات صغيرة » لماذا حذف كل هذا ؟ هل لأنه لا ينبغى أن يسمع الطلاب لفظة « خلافة » التى يجب أن يعملوا لإعادتها ؟ أم لأن الحديث عن الخلافة يزعج اليهود والغرب ؟ أليست التجزئة من عوامل ضعف العالم الإسلامى حقًا ؟ ألا تريدون أن يعرف الطلاب كيف يعيدون وحدتهم ومجد أمتهم ؟

٢- أمثلة من مادة الفلسفة

قام المطورون بهجمة شرسة ضد الهوية العربية والإسلامية بكتاب الفلسفة لطلاب المرحلة الثانوية العامة والأزهرية .

*** فقد حذفوا جميع التعليقات العربية الإسلامية التي كانت موجودة بطبعة (٨٨ - ١٩٨٩م)** عقب كل فلسفة من الفلسفات الغربية المعروضة بالكتاب ، ومعروف أهمية هذه التعليقات فى قضية الانتماء والولاء ، ومن حسن الحظ أن المطورين نسوا أن يحذفوا من مقدمة الكتاب الفقرة رقم (٣) التى تنص صراحة على ضرورة الاهتمام بتلك التعليقات ونص هذه الفقرة هو :

« دعما للانتماء الفكرى القومى عند الطلبة ، ومنعا لاتجاههم نحو اعتناق أى فكر أجنبى أثناء أو بعد دراستهم للمذاهب الفلسفية المقررة فى المنهج ، اتبعنا منهجاً واضحاً ومحدداً فى هذا الشأن ، نرجو أن يركز عليه المعلمون بدقة أثناء التدريس ، ويتمثل فى اتخاذنا النظرة النقدية ؛ للتعقيب بها على المذاهب الفلسفية ، بدلا من الاكتفاء بعرض تلك المذاهب دون نقد أو تعليق ، وقد حددنا المعالم العامة لهذه النظرة النقدية بما يتوافق مع ظروفنا الاجتماعية ، وقوميتنا العربية وديننا الإسلامى » . انتهى .

*** كما حذف أيضا من (ص: ٥٢ ، ٥٣) قول المؤلف : « يجب نقد المذاهب الفلسفية المتنوعة وتحديد موقفنا منها بوصفنا مجتمعًا عربيا إسلاميًا يريد حماية مبادئه من الوقوع في شباك الفكر الأجنبي** ، وإنه يجب علينا رفض المذاهب الأجنبية ؛ لأنها ثمار لتربة اجتماعية أجنبية ، وإن هذا يقتضى منا البحث عن حلول أخرى تكون نابعة من صميم واقعنا العربى ، وديننا الإسلامى ، فنحن لنا تقاليدنا وظروفنا وتاريخنا وعقائدنا التى نتمسك بها ونعتز بها ، وهى تجبرنا على عدم نقل كل نظم الآخرين ونظرياتهم ، وهذا لا يمنعنا من أن نتفحص بدقة الحلول المختلفة فى شتى المجتمعات الأجنبية ؛ تمهيداً لأن نختار منها ما يصلح لمجتمعنا ، ثم نزيد عليه حلولنا الذاتية ..» ثم قال : « ومن الخطأ الاعتقاد فى أن حلول المشكلات الفلسفية عالمية مطلقة تصلح لكل زمان ومكان ... والذين ينادون بذلك يروجون لنوع جديد من السيطرة الفكرية الأجنبية ، وذلك لينفذوا من خلالها إلى المجتمعات الصغيرة فيقضوا على شخصيتها ويمحوا هويتها . لذلك يجب على الشعوب الآخذة فى النمو أن تحدد لنفسها موقفاً فكرياً مستقلاً ...» ثم قال : « ومن

مزايا وجهة النظر النقدية العربية والإسلامية أنها لا تقبل كل الحلول والمذاهب الفلسفية والأجنبية على علاتها ، وكذلك لا ترفضها كلها ، بل تقبل منها فقط ما يتوافق مع ظروف مجتمعنا العربى الإسلامى » .

* لماذا حذفت كل هذه التعقيبات من الطبعات الجديدة لكتاب الفلسفة ، ونحن نعلم أن تدريس الفلسفة دون تعقيب أو تفنيد يؤثر سلبيا فى أبنائنا ، ويوقعهم فريسة للفكر الغربى وتخبطاته المذهبية ، ويضعف من هويتهم وانتمائهم .

وهناك أمثلة وتفصيلات أخرى عرضناها بكتاب «تطوير أم تضليل فى العلوم الإنسانية (الفلسفة) » رقم (١٢ ، ١٣) من هذه السلسلة .

٣- أمثلة من مادة علم النفس

بفحص كتاب علم النفس المقرر علي المرحلة الثانوية العامة والأزهرية لعام (٩٢-١٩٩٣م) تبين ما يأتى :

* تأثر الكتاب المقرر بمدارس علم النفس الغربى القديمة فى اتجاهاتها المادية والإلحادية ، وإنكارها للجانب الروحى ، وغير ذلك من السلبيات التى تولد عنها القلق والإدمان والانتحار الفردى والجماعى ببلاد الغرب .

* وفى نفس الوقت أغفل الكتاب ذكر مدارس علم النفس الغربى التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن العشرين ، برغم أهمية دورها فى علاج سلبيات المدارس السابقة فى جوانب الروح والقيم ، وكل ما يتصل بإنسانية الإنسان وغيرها ، وكل ذلك يكشف لنا حقيقة دعاة التطوير ، ويثبت أنهم أبعد الناس عن التطوير الحقيقى الفعال الذى تحتاجه أمتنا ويتصل بمستقبل أبنائنا .

* كما أغفل ذكر وجهة نظر علماء النفس الإسلامى المحدثين الذين ينطلقون من هدى رب العالمين خالق النفس ، ويهدفون إلى إنقاذ شبابنا من الحيرة والبلبلة اللتين يتعرضون لهما حين تتصادم مبادئ علم النفس الغربى التى يدرسونها مع قواعد الدين التى يعتنقونها .

* ونحن لا نهدف إلى حصر موضوعات علم النفس فى دائرة الروح وتزكية النفس وحدها ، وإهمال الجانب المادى من علم النفس الحديث وتطبيقاته النافعة التى قطع

فيها شوطا كبيرا ، فالحكمة ضالة المؤمن أنّا وجدها فهو أحق الناس بها ، وكل ما نطلبه هو فصل نظريات علم النفس الغربى عن فلسفاتهم الإلحادية ، هذا بالإضافة إلى تزويد الكتاب المقرر بأحدث ما وصل إليه علم النفس الغربى فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وعدم الاقتصار على نظرياتهم القديمة .

وهناك أمثلة وتفصيلات أخرى عرضناها بكتاب «تطوير أم تضليل فى العلوم الإنسانية (علم النفس) » رقم (٩) من هذه السلسلة .

٤- أمثلة من مادة المنطق

*** خلا كتاب المنطق (ط٩١- ١٩٩٢م) وما بعدها من ذكر دور المسلمين في مجال علم المنطق ذكرًا محددًا ومفصلاً كما ذكر عن غيرهم** رغم أن فضلهم فى هذا المجال معروف غير منكر حتى عند المنصفين من علماء الغرب ، فالمسلمون هم الذين نقدوا المنطق الأرسطى وهدموه وأقاموا مكانه المنطق الاستقرائى التجريبى الذى أخذته أوربا عنهم وأقامت به صرح نهضتها الحديثة .

* أما ما جاء فى الكتاب المقرر (ط ٩١-١٩٩٢م) (ص : ٧٣، ٧٤) عن دور علماء المسلمين كابن تيمية والحسن بن الهيثم فقد جاء مسطحاً ومشوهاً أشد ما يكون التشويه . لقد جحد الكتاب المقرر دور ابن تيمية وغيره فى إقامة المنطق الاستقرائى التجريبى ، فى حين يقول الدكتور على سامى النشار فى كتابه «مناهج البحث» (ص : ١٧٠) : «إن ابن تيمية قد وضع أعظم فكرة عرفتها الإنسانية فى ميدان التجربة ، وإنه بهذا يسبق فرنسيس بيكون ومل فى جعلهما التجربة أو الاستقراء أساس المعرفة ، بل يكاد مل يتكلم بأسلوب ابن تيمية حينما ذكر مثال النار فى استشهاده » .

* وفي موضوع القياس الأرسطي لم يشر الكتاب المقرر إلى عبقرية ابن تيمية فى نقده لهذا القياس حيث قال عنه : « إنه فى صورته صحيح ، ولكنه لا يستفاد به فى أى علم من العلوم ، وأن طرق المسلمين خير منه » . وقد علق الدكتور على سامى النشار على رأى ابن تيمية قائلاً بأنه دعى إلى إطلاق الفكر على سجيته وعدم تقييده بقوانين صناعية متكلفة . كما يرى الدكتور عزمى إسلام أن ابن تيمية بهذا النقد قد سبق المناطقة المحدثين ، وكذلك يقرر « رَسِلْ » أن المنطق الأرسطى مرفوض عملياً من كل علماء المنطق المعاصر ، وقال بأن هناك استدلالات عقلية على وجود الله من نظام

الكون ودقته ، فانظر كيف فضل « رَسِلْ » الاستدلال بالنظام والدقة فى الكون وهو من الاستدلالات التى استخدمها القرآن فى مثل قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ... ﴾ ويتميز الاستدلال القرآنى عن القياس الأرسطى بأنه لا يخاطب العقل النظرى وحده ، بل يخاطب العقل العملى الفطرى والحسى والعاطفة ؛ لأن قضية الإيمان لا تعتمد على مجرد المعرفة العقلية أو الحسية فكم من انسان امتلأ عقله بالعلوم واتخمت حواسه بمظاهر الكون وعجائبه ورغم هذا نجد قلبه خرباً لا ينفعل بحب خالق الكون ومبدعه ، أما الاستدلال القرآنى فإنه يثير كوامن النفس ، بدليل أنه أقنع العرب وأخرجهم من ديارهم وأموالهم وأذهلهم عن أبنائهم والحلائل ؛ دفاعا عن هذا الحق الذى اقتنعوا به . واستطاع القرآن أن يؤلف من العرب المفككين أكبر جماعة نفسية عرفها التاريخ ، ولو أن المنطق الأرسطى كان للعرب بدل القرآن لما أغناهم شيئاً .

* كما صور الكتاب المقرر (ص٧٤) (ط ٩١- ١٩٩٢م) الحسن بن الهيثم على أنه مجرد مستخدم للمنهج التجريبى دون أن يذكر دوره فى اكتشافه ، وكأن المنهج التجريبى الاستقرائى هذا قد ولد سفاحاً أو جاء رمية بغير رامى . لماذا لم يذكر الكتاب صراحة دور ابن تيمية وابن الهيثم وغيرهما من علماء المسلمين فى اكتشاف هذا المنهج ؟ لماذا لم يقل إن مفكرى الإسلام قد سبقوا المحدثين خاصة « بيكون ومل » فى وضع قوانين الاستقراء وطرقه ، وذلك عندما أقاموا القياس الأصولى على قانون العلة واطراد الحوادث فى الطبيعة ، انطلاقاً من إيمانهم بانتظام حركة الكون واطرادها كما أرادها الله وسخرها للإنسان ، فوضعوا شروط العلة وطرقها التى تساعد على تفسير الظواهر فى إطار موهبة التخيل والتوقع العلمى لدى الباحث ، مؤسسين ذلك كله على التجربة التى قلدهم فيها المناطقة الغربيون ، بدليل أن كتاب «فرنسيس بيكون» «الأورجانون الجديد» الذى كتبه نقداً لكتاب «الأورجانون القديم» لأرسطو يكاد يطابق كتاب الرد على المنطقيين لابن تيمية ، والمعروف أن اللاحق هو الناقل عن السابق.

* ويبقي بعد ذلك ملاحظة مهمة وهى أن المسلمين قد سبقوا حتى أصحاب المنهج العلمى المعاصر فى اعتبار أن العلية ليست هى الأساس الوحيد للاستقراء ، بل سلموا بوجود طرق أخرى بجانبها ؛ بدليل أن «هيوم» نفسه قد تأثر بما قاله المسلمون فى نقده للعلية ، لقد كان للمسلمين الدور الأساسى فى ظهور المنهج العلمى المعاصر ، وذلك بعد نقدهم لضرورة العلية ، وقولهم بأن العلية ليست حتمية ، وهو ما قال به «هيوم» نقلاً عن المسلمين ، وبخاصة الأشاعرة ، وذلك بشهادة علماء الغرب أنفسهم مثل

«رينان» الذى يقول إن هيوم تأثر بالأشاعرة فى موقفهم من العلية ، والأشاعرة لا ينفون العلية وما يترتب عليها من نظام فى الكون ، ولكن ينفون فقط حتميتها ؛ لكى يثبتوا قدرة الله على مخالفة قانون العلية ، ويثبتوا بالتالى المعجزات .

وهكذا تتضح لنا المحصلة النهائية لمؤامرة التطوير ، وهى تحويلنا إلى أمه بلا تراث، يعبث بهويتها الآخرون ، ويشكلون لها حاضرها ، ويصورون أنه لامستقبل لها إلا فى أحضان الغرب والصهيونية. وهناك أمثلة وتفصيلات أخرى عرضناها بكتاب «تطوير أم تضليل فى العلوم الإنسانية (المنطق)» (رقم ١٣) من هذه السلسلة .

٥- أمثلة من مادة التاريخ الإسلامى

تمت عملية تشويه بشعة للتاريخ الإسلامي كمحاولة لتجهيل الأمة بهويتها وفيما يأتى نماذج مما ارتُكب في هذا المجال :

* **تضخيم التاريخ الفرعوني بدرجة كبيرة :**

حيث كان يدرس مع الحضارات القديمة فى (٧٥) صفحة ، وذلك قبل التطوير ، فصار الآن يدرس فى (٣١٧) صفحة ، وكان يدرس فى المرحلة الإعدادية وحدها ، فصار يدرس الآن فى المراحل الثلاث .

* **ونحن لسنا ضد تدريس التاريخ الفرعوني، ولكن هذا التضخيم جاء علي حساب تاريخ الدولة الإسلامية** ، أى على حساب التاريخ الإسلامى من عصر النبى محمد ﷺ حتى نهاية الخلافة العثمانية ، والذى كان يدرس فى (٢٠٧) صفحة قبل عهد د. فتحي سرور مباشرة ، فصار يدرس الآن فى (٣٥) صفحة فقط ، وكان يدرس فى المراحل الثلاث فصار يدرس الآن فى المرحلة الإعدادية وحدها ، وبذلك انخفض تدريس عصر النبى محمد ﷺ جميعه إلى عشر صفحات ، فى حين يُدرّس الملك مينا - وحده - فى تسع صفحات ، واختزل تاريخ خالد بن الوليد وفتوحاته إلى ستة أسطر ، فى حين يدرس نابليون وحملاته فى (٣٤) صفحة .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، هذا فضلاً عن التشويه والتحريف لكثير من الأحداث التاريخية ، أفلا يثير ذلك الريب والشكوك ؟

وفيما يأتى جدول توضيحي يبين الانكماش الذى طرأ على مقرر تاريخ الدولة الإسلامية فى المراحل التعليمية ، ويليه جدول مفصل بعدد صفحات جميع موضوعات التاريخ الإسلامى بما فيه تاريخ الدولة الإسلامية، وكذلك تاريخ الفراعنة، والحضارات القديمة، كل ذلك مقارناً بما كان قبل وبعد التطوير فى عهد د. سرور و د. بهاء الدين:

جدول (١) مقانة بين عدد صفحات تاريخ الدولة الإسلامية قبل عهد د. فتحى سرور وبعده

موضوعات تاريخ الدولة الإسلامية	مرحلة ما قبل التطوير				مرحلة د . فتحي سرور				مرحلة د . حسين كامل			
	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع
العصر النبوى	١٢	١٥	١٦	٤٣	صفر	٢٠	١٦	٣٦	صفر	١٠	صفر	١٠
عصر الخلفاء الراشدين	١٤	١٧	١٢	٤٣	صفر	١٨	١٤	٣٢	صفر	١٢	صفر	١٢
عصر الخلفاء الأمويين	٧	١٧	٧	٣١	صفر	٧	٧	١٤	صفر	٦	صفر	٦
عصر الخلفاء العباسيين	صفر	١٤	١١	٢٥	صفر	٣	٢	٥	صفر	٤	صفر	٤
عصر الخلفاء العثمانيين	١١	١١	٤٣	٦٥	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	٣	صفر	٣
المجموع	٤٤	٧٤	٨٩	٢٠٧	صفر	٤٨	٣٩	٨٧	صفر	٣٥	صفر	٣٥

جدول (٢) مقارنة بين عدد صفحات باقي موضوعات التاريخ الإسلامى بما فيها تاريخ الدولة الإسلامية

موضوعات التاريخ الإسلامى	مرحلة ما قبل التطوير				مرحلة د . فتحي سرور				مرحلة د . حسين كامل			
	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع	ابتدائى	اعدادى	ثانوى	مجموع
تاريخ الدولة الإسلامية	٤٤	٧٤	١٦	٢٠٧	صفر	٤٨	٣٩	٨٧	صفر	٣٥	صفر	٣٥
مصر والدول المستقلة	٢٨	١١	١٢	٧٣	صفر	صفر	٤١	٤١	صفر	١٤	صفر	١٤
الحضارة الإسلامية	صفر	٢٠	٧	٥٦	صفر	١٧	٣٦	٥٣	٤	٢٢	٨٤	١١٠
الصليبيين والتتار	١٢	٩	١١	٣٣	صفر	٢٠	٢٩	٤٩	٢	١١	٥٦	٦٩
العرب قبل الإسلام	٧	١٦	٤٣	٣٧	صفر	٥	٨	١٣	صفر	١٠	صفر	١٠
المجموع	٩١	١٣٠	٨٩	٤٠٦	صفر	٩٠	١٥٣	٢٤٣	٦	٩٢	١٤٠	٢٣٨

جدول ٣

موضوعات الفراعنة	صفر	٧٥	صفر	٧٥	٨٣	٢٤	١٥٦	٢٧٣	٤٣	٨٤	١٩٠	٣١٧

* **حذف أهم عناصر الحضارة الإسلامية وتشويه ما تبقي منها :**

نلاحظ من الجدول الثاني أن كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية الذى صدر فى عهد د . حسين كامل قد زادت صفحاته من (٥٦ إلى ١١٠) صفحة ، أى تضاعف عن ذى قبل ولكن يا لهول ما أضيف ويا حسرة علي ما حُذف : فمثلاً :

أ) حذف من كتاب الحضارة الإسلامية للصف الثاني الثانوي أهم عناصر تلك الحضارة ، كنظام الحكم في الإسلام : ومنه الخلافة الإسلامية ونظام القضاء ، وأيضاً حذف نظام الجيش والأسطول الإسلامى وغيره، وفى نفس الوقت لم يحذف نظام الحكم الفرعونى وأنظمة الجيش والأسطول الفرعونى من كتاب الحضارة الفرعونية .

ب) كما نلاحظ أن الكتاب نفسه أضيف إليه كثير مما يتعارض مع الحضارة الإسلامية ، حيث وصفت هذه الحضارة زورًا بأنها كانت حضارة فسق ومجون في العصر العباسي ، وأن خلفاء بني العباس كانت حياتهم حياة لهو ومعازف وقيان .

فقد جاء فى (صفحة ٢٦) : « كان الجوارى يغنين من وراء ستار ، وإذا أقيم حفل خاص وأرادوا إكرام ضيف غنت المغنيات فى هذا الحفل أمام ستار » . فهل يعد هذا حقاً من مظاهر الحضارة الإسلامية ؟ لو أننا ذكرنا أن هذا الأمر كان مقصوراً على خلفاء ضعفاء من أواخر هذا العصر وعلقنا عليه بأن الله سلط عليهم بسبب ذلك الصليبيين والتتار لكان أفضل ولتحققت رسالة التربية ، أما أن نسوق سلبيات مشكوكاً فيها لفترات الضعف العباسى ، ثم نلصقها بالعصر كله ، ثم ندعى بأنها من مظاهر الحضارة الإسلامية ؛ فإن ذلك من قبيل التزوير ؛ لأن العصر العباسى الأول والثانى كان عصر جهاد وإثراء للمعرفة ، بعكس أواخر هذا العصر.

* **نلاحظ فى كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي عام (٩٣ - ٩٤) أنه قد أدخلت عليه التشويهات التالية :**

(أ) حذف ما كتب عن دور جمال الدين الأفغاني في الدعوة إلي الوحدة الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية : كما حذف ما كتب عن فضل هذه الدعوة فى التمهيد لفكرة القومية العربية .

وقد تم هذا الحذف أيضًا من كتابي التاريخ والتربية الوطنية في وقت واحد في العام الدراسي (٩٣ - ٩٤) (قارن طبعة ٩٢ - ١٩٩٣م من كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى

ص ١٢١ - ١٣٩ وطبعة ٩١ - ١٩٩٢م من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى ص ٧٨ - ٨١ مع طبعة ٩٣ - ١٩٩٤ للكتابين) .

(ب) أرجع الفضل إلي نصاري الشام والإرساليات التبشيرية في ظهور فكرة القومية العربية ، بعد حذف دور الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما من دعاة الوحدة الإسلامية . والادعاء بأن العرب فضلوا فكرة القومية العربية علي فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية (قارن طبعة ٩٢ / ١٩٩٣م من كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى ص ١٢١ وما بعدها مع طبعة ٩٣ / ١٩٩٤م ص : ١٢١ وما بعدها) .

والحقيقة أن العرب المسلمين لم يفضلوا القومية العربية على الوحدة الإسلامية لسببين : الأول : أن نظام الخلافة يعتبر فريضة شرعية ، وأنه لم يجادل فى هذه الحقيقة إلا الحاقدون على دولة الخلافة العثمانية من نصارى الشام أو الإرساليات التبشيرية .

الثاني : أنه ليس هناك تعارض بين العروبة والإسلام ؛ لأن اللغة العربية هى وعاء الإسلام ، وبها نزل القرآن الكريم .

أما تبنى نصارى الشام والإرساليات التبشيرية للغة العربية ، والقومية العربية فلم يكن حباً فى اللغة العربية والقومية العربية بقدر ما كان وسيلة أو أداة لمواجهة فكرة الوحدة الإسلامية . أى أن دعوتهم إلى القومية العربية كانت مجرد مرحلة أو بديل مؤقت لفكرة الوحدة الإسلامية ، بدليل أن فكرة القومية العربية نفسها صارت تحارب اليوم بعد أن أدت دورها فى مواجهة فكرة الوحدة الإسلامية والقضاء عليها . فقد حذف عام ٩٣- ١٩٩٤م) من كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوى موضوع « دور مصر الحضارى فى بلاد الشام وإفريقيا » (قارن طبعة ٩٢ - ١٩٩٣م صفحة ٩٢ مع الطبعة الجديدة ٩٣/ ١٩٩٤م) .

* كما حذف فى عام (٩٢ - ١٩٩٣م) من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى من موضوع « محاولات تحقيق الوحدة العربية » الفقرات التالية :

«الاتحاد القومى الهاشمى لعام ١٩٥٨م ، والاتحاد المركزى العربى لعام ١٩٦٣ ومجلس التعاون العربى لعام ١٩٨٩م» .

(جـ) حذف ما كان في (ص : ١٢٧ ط ٩٢ - ١٩٩٣م) حول تعلق مصر بدولة الخلافة العثمانية منذ بدايتها وحتي أواخر أيامها . ونص ما حذف هو :

« ظلت مصر متعلقة بأهداب الدولة العثمانية ؛ على اعتبار أنها دولة (الخلافة) ، وأنها تسعى فيما تسعى إليه – بطريقة أو بأخرى – إلى تحرير بلاد العالم الإسلامى من الاستعمار ، ولذلك قاطع المصريون البضائع النمساوية عندما أعلنت إمبراطورية (النمسا – المجر) اقتطاع إقليمى البوسنة والهرسك من جسد الدولة العثمانية ، وكان للشعب المصرى مواقف غاية فى السمو من العدوان الإيطالى على طرابلس فى (١٩١١م) ومن عدوان بعض الدول البلقانية على الدولة العثمانية فى (١٩١٢م) » .

فلماذا حذفت تلك المعلومات التى كان يتعلم منها الطالب أن البوسنة والهرسك كانتا جزءا من العالم الإسلامى فى ظل الخلافة العثمانية ، وأن الشعب المصرى أعلن مقاطعته للبضائع النمساوية من أجلهما . وبالمثل وقف الشعب المصرى إلى جوار طرابلس الغرب ضد الغزو الإيطالى سنة (١٩١١م) ، وإلى جوار البلقان والخلافة العثمانية ضد العدوان اليونانى سنة (١٩١٢م) وهكذا . لماذا حذف هذا كله ؟

(د) الطبعة الجديدة (٩٣ – ١٩٩٤م) تدلس علي الطلاب في اعتبارها تاريخ تركيا بعد الانقلاب العسكري الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد سنة (١٩٠٨م) امتداداً لتاريخ دولة الخلافة العثمانية التي تأسست عام (١٢٩٩م) وظلت علي امتداد (٦٠٠) سنة وحتى عام (١٩٠٨م) تقاتل أوربا الصليبية وتحمي حمي العالم الإسلامي . ونسي أن هؤلاء الانقلابيين جيء بهم خصيصاً لضرب الخلافة ، وتمزيق العالم الإسلامي ، وتسليمه لأعدائه ، وإحياء القومية التركية . كما أخفى دور اليهود والماسون أعضاء جمعية «الاتحاد والترقى» فى تحريك هؤلاء الانقلابيين ، وبخاصة زعيمهم « كمال أتاتورك» الذى ينسب إلى يهود الدونمة والماسونية العالمية ، وقد أشار الكتاب المقرر فى طبعته السابقة (٩٢ – ١٩٩٣م) إلى بعض هذا حيث يقول :

«سرعان ما اكتشف العرب أن جمعية الاتحاد والترقى تنتهج سياسة التتريك واحتكار الأتراك الحكم والإدارات العليا دون العرب ... وقد فرضت جمعية الاتحاد والترقى مرشحيها من الأتراك على الدوائر الانتخابية فى البلاد العربية . وعندما دعا بعض قيادات الحركة الوطنية إلى إفادة مصر من دستور سنة (١٩٠٨م) من حيث ربط مصر بالدولة العثمانية برباط عضوى على أمل التخلص من الاحتلال البريطانى صدمت مصر بتصريح الانقلابيين بأن الدولة العثمانية موافقة على بقاء مصر تحت السيطرة الإنجليزية» .(انظر

كتاب : التاريخ للصف الثالث الثانوى طبعة ٩٢ - ١٩٩٣م ، ص : ١٢٧) .

فلماذا حذف كل هذا من الطبعة الجديدة ٩٣ / ١٩٩٤ ؟ ولمصلحة من ؟

(٥) نلاحظ فى كتاب جغرافية الوطن العربي وتاريخه في العصر الإسلامي للصف الثاني الإعدادي عام ٩٣/ ١٩٩٤م أنه قد حذف منه ما يأتى :

أ- حذف الفصل الخامس ، وهو بعنوان **« الخريطة السياسية للوطن العربي »** (صفحات ٣٩ : ٤٥) ومن أهم فقراته قوله : « إن الأمة العربية حالياً لايضمها دولة واحدة . فهى مقسمة إلى ٢٢ دولة ، وإن هذا التقسيم يرجع إلى الاستعمار الأوربى الذى عمل على تفتيت وحدة الأمة العربية ، وتجزئتها إلى دول صغيرة ، يفصلها بعضها عن بعض حدود سياسية مصطنعة ، من رسمه ؛ لإضعاف قوة العرب ، وإشاعة روح التفرقة بينهم ... ومن المشكلات التى خلفها الاستعمار الإنجليزى مشكلة جنوب السودان ؛ بهدف التحكم فى منابع النيل ، ووقف الزحف العربى الإسلامى إلى قلب القارة الإفريقية ...» الخ » . فلماذا حذف كل هذا ؟ ولماذا يحرم الطالب من معرفة تاريخ أمته ومخططات أعدائها الموجهة ضدها ؟

ب- وحذف الفصل الرابع عشر ، وهو بعنوان **«التنمية الاقتصادية ومشكلاتها في الوطن العربي»** (صفحات ١١١ - ١١٦) .

ويحض هذا الموضوع على حماية المصنوعات العربية من السلع الأجنبية المنافسة ... الخ . إن هذا التحريف لا يخدم إلا الصناعة الإسرائيلية ومشروع السوق الشرق أوسطية الاستعمارى .

جـ- وحذف الفصل الخامس عشر وهو بعنوان **«التكامل بين أقطار الوطن العربي وإمكاناته الطبيعية والبشرية»** (صفحات ١١٧ - ١٢٠) .

ومن أهم فقراته قوله :

« المقصود بالتكامل أن يصبح الوطن العربى وحدة اقتصادية يكمل بعضها بعضاً ، فتستفيد من تنوع الظروف الطبيعية والبشرية ، فيحقق التكامل العربى أغلى أهدافه ، وهى رخاء الشعوب العربية ، ويكسبها القوة والاحترام فى المجال الدولى.. فتنوع البيئات

والمناخ يؤدى إلى تنوع المنتجات ، وتحقيق التكامل الاقتصادى ، وبالمثل تنوع النشاط البشرى ، فالإنتاج الحيوانى فى السودان والصومال والمغرب يزيد عن حاجة الاستهلاك المحلى . والإنتاج الزراعى كالأرز فى مصر يزيد عن حاجة الاستهلاك المحلى ، وبالمثل الإنتاج الصناعى ، والأيدى العاملة وغيرها مما يمكن معه تحقيق التكامل الاقتصادى بين بلدان الوطن العربى » .

وتحت عنوان «العوامل التى تعوق التكامل الاقتصادى » تحدث عن الاستعمار وأثره فى تمزيق الوطن العربى إلى وحدات سياسية متفرقة ، كما تحدث عن سلبيات عدم وجود تنسيق عربى موحد .

فلماذا حذف كل هذا ؟ ولماذا تغيب اليوم دعوة التضامن والتكامل العربى كما غيبت بالأمس القريب دعوة الوحدة الإسلامية التى نادى بها الأفغانى ومحمد عبده ؟ ولماذا جاء حذف موضوع التكامل والتعاون العربى من جميع فروع الدراسات الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية) وفى وقت واحد وهو عام (٩٣ - ٩٤)، ومن جميع مراحل التعليم (الصف الثانى والثالث الإعدادى ، والصف الثانى والثالث الثانوى) . أما باقى الصفوف فلا يدرس بها إلا التاريخ الفرعونى .

د- وحذف الفصل الثاني الخاص بمصر كولاية إسلامية (عصر الولاة)

صفحات (١١٧ - ١٢٠) . ومن أهم فقراته قوله :

« إن مصر ظلت ولاية تابعة للخلافة الإسلامية منذ الفتح العربى عام (٦٤٠م) وحتى قيام الدولة الطولونية عام (٨٦٨م) . وقد تولى الحكم خلال هذه الفترة (٩٩) والياً بعد عمرو بن العاص ... ».

وحذف أيضاً كل ما جاء تحت عنوان « من هم الولاة الذين تولوا حكم مصر » كما حذفت الإصلاحات التى تمت فى عهد كل والٍ .

هـ- وحذف الفصل الخامس ، وهو بعنوان «الفتح العثمانى لمصر» صفحات٤٢٥-٢٤٨

وهكذا تتآكل المساحة المخصصة لتاريخ الدولة الإسلامية عاماً بعد عام . وتمحى الصفحات الخاصة بالخلافة العثمانية ، والصفحات الخاصة بتاريخ الدعوة إلى الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية ، والصفحات الخاصة بالتعاون والتكامل العربى .

ليس هذا فقط ، بل حذف أيضاً البابان المخصصان للتطور السياسى والاقتصادى

والاجتماعى للصف الثالث الإعدادى من طبعة (٩٢ - ٩٣) ، فقد حذف الباب السادس وهو بعنوان « تطور الديمقراطية بمصر » (صفحات ٣٠٥-٣٠٨) ، والباب السابع بعنوان «تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر الحديثة والمعاصرة» صفحات٣١٥-٣٢٤ من الطبعة السابقة (١٩٩٢/٩١م) وهكذا شمل الحذف كل ما يتصل بأمجادنا الإسلامية والعربية والمصرية فى القديم والحديث والمعاصر ، وهو ما لا يخدم إلا الاستعمار الجديد ، وسياسته فى فرض السوق الشرق أوسطية ، وفرض السيطرة الأمريكية والصهيونية .

نكتفى بهذا القدر من الامثلة . وهناك أمثلة لمواد دراسية أخرى كالتربية الاسلامية التى أدخل عليها المطورون تعديلات تمحى منها الحس الوطنى وتمسخ فيها قضية الانتماء و الهوية . حيث قاموا فى طبعة عام ٩٤ / ١٩٩٥ بتعرية نساء كتاب التربية الاسلامية للصف الثالث الابتدائى من غطاء الرأس و أجزاء أخرى من البدن . ولم يراع المطورون أن هذا الكتاب خاص بالتربية الإسلامية التى يتعلم منها الطفل بأن الحجاب فريضة كالصلاة والصيام . وفيما يلى مقارنة بين صور الكتاب طبعة ١٩٩٤/٩٣ ، وطبعة عام ٩٤ / ١٩٩٥ فتأمل كيف عمل التطوير على هدم تقاليدنا وتعاليم ديننا الراسخة ، كل ذلك لصالح الغرب وتقاليده المنحلة .

طبعة عام ١٩٩٣/ ١٩٩٤م

٢ الغداء

طبعة عام ١٩٩٤ / ١٩٩٥ م

٢ الغداء

٤ من آداب الإسلام

طبعة عام ١٩٩٣ / ١٩٩٤م



وبيْنَما الأمُّ وضَيْفَتُها تتحدَّثانِ ... دفعَ محمودٌ بابَ الحُجرةِ ، ودخلَ صائحًا: أُمّي ... أُمّي .

٤ من آداب الإسلام

طبعة عام ١٩٩٤ / ١٩٩٥ م



وبيْنَما الأمُّ وضَيْفَتُها تتحدَّثانِ ... دفعَ محمودٌ بابَ الحُجرةِ ، ودخلَ صائحًا: أُمّي ... أُمّي .

ثانيًا : مناهج المعاهد الأزهرية وموقفها من قضية الانتماء
أمثلة لما ارتكبه المطورون فى حق الهوية والأصالة

١ - أمثلة من مادة الدعوة والمجتمع الإسلامى

قام الأزهر منذ عام (١٩٨٩م) بتجميد تدريس مادة «الدعوة والمجتمع الإسلامى» فى كل من الصفين الأول والثانى الثانوى وطلاب البعوث . ثم قرر بدلاً منها مادة التربية الوطنية ؛ بهدف سلخ الأزهر عن هويته الإسلامية ، وصرفه عن تأدية رسالته العالمية ، تجاه المجتمعات الإسلامية المعاصرة . وفى نفس الوقت قام الأزهر بإلغاء الموضوعات التى ترسخ الهوية والانتماء من كتاب التربية الوطنية البديل .

بداية المؤامرة :

مع بداية نكبة التطوير الأولى عام ١٩٦١م وبعده بسنوات قليلة توقف تدريس مادة «المجتمع الإسلامى» بالمعاهد الأزهرية. وبعد إلحاح موجهى المادة على ضرورة تدريسها ، أمر فضيلة شيخ الأزهر بإعادة تدريس المادة ، ولكن بعد تسميتها باسم «الدعوة والمجتمع الإسلامى» إشارة إلى أن الهدف من تدريسها مرتبط بوظيفة الدعاة الذين يبعثون إلى الدول الإسلامية من خريجى الأزهر .

ذروة المأساة :

وفى عام (١٩٨٨م) أمر فضيلة شيخ الأزهر بتكليف موجهى المادة بتأليف كتابى «الدعوة والمجتمع الإسلامى» للصفين الأول والثانى الثانوى وطلاب البعوث ، وكان من نصيب كاتب هذه السطور (على أحمد لبن) أن كُلِّف بتأليف كتاب «الدعوة والمجتمع الإسلامى» للصف الثانى الثانوى الأزهرى وطلاب البعوث وذلك بموجب خطاب رسمى معتمد . وفى الموعد المحدد سُلِّم الكتاب ، الذى عرض عليِ لجنة المراجعة وأقرته، ووقعت بذلك فى الصفحة الأولى من النسخة الأصلية . وبعدها عِرض على فضيلة شيخ الأزهر الذى أقره ووقع على كل صفحة من صفحاته . وبعد ذلك توقف كل شىء . ثم فجأة صدرت الأوامر بتدريس كتاب آخر هو كتاب «التربية الوطنية» المقرر على طلاب الثانوية بوزارة التربية تحت اسم «الدعوة والمجتمع الإسلامى» . واستمر الحال على ذلك قرابة العامين ، وبعد السؤال عن سبب التوقف عن تدريس كتاب «المجتمع

الإسلامى» المذكور ، قام الأزهر بإرساله إلى جامعة الأزهر بحجة مراجعته بواسطة لجنة من أساتذة علم الاجتماع بها . وبالفعل تمت المراجعة وأُقِرّ ، وعاد الكتاب ثانية إلى مكتب فضيلة شيخ الأزهر . وقد أخبر بذلك كل من الدكتور على الكاشف أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر ، الذى شارك فى المراجعة ، والدكتور فتحى العراقى مستشار المادة بإدارة المعاهد الأزهرية . ثم مضى على ذلك ثلاثة أعوام أخرى ، ومازال كتاب «الدعوة والمجتمع الإسلامى» مُجمّداً .

وحيال هذا الموقف الذى تُغتال فيه مادة دراسية مهمة تهدف إلى تعريف الطلاب بأحوال المجتمع الإسلامى القديم والمعاصر ؛ قمنا بإصدار هذا الكتاب والكتب الأربعة التالية حول موضوعات هذه المادة المهمة ؛ ليستفيد منها الدعاة والمعلمون خاصة وأن العملية التعليمية لا تقف عند حدود الكتاب المدرسى ، كما أنها لا تتعثر بتعثره . ،قد رغبنا فى أن تكون هذه الكتب الخمس هى المنهج المقترح تدريسه بمدارس وزارة التربية، بالإضافة إلى المعاهد الأزهرية .

٢- أمثلة من مادة علم النفس وأصول التربية

- بداية المأساة :

بدأت المأساة سنة (١٩٧٨م) حيث قام الأزهر بإلغاء مسمى مادة «تاريخ التربية الإسلامية» ، وأصبح اسمها «مادة التربية» ، ولكن بقى المحتوى الإسلامى للمادة كما هو . وبالمثل مادة «علم النفس التعليمى» التى بقى محتواها الإسلامى .

ذروة المأساة :

ولكن فى عام (١٩٨٨م) ألغى المقرر الدراسى بمحتواه الإسلامى فى المادتين (مادة التربية ومادة علم النفس التعليمى) وحل محلهما مقررات دور المعلمين بوزارة التربية بصياغتهما العلمانية الخالية من أى ذكر لدور المسلمين فى دراسة النفس أو أصول التربية الإسلامية ، اللهم إلا موضع واحد تحت عنوان : «التربية الإسلامية فى العصور الوسطى» مما يوحى أنها عصور ظلام بادت وعفا عليها الزمن . أما باقى محتوى الكتابين فيعرض النموذج الغربى أو ما يسمى بالتربية الحديثة التى يرون أنها النموذج

الأمثل الذى يجب أن يحتذى ويمارس ويسود فى مجال التربية وعلم النفس .

الفصل الأخير من المأساة :

وفى عام (١٩٩١/ ١٩٩٢م) ألغيت نهائياً مادتا التربية وعلم النفس ، وبذلك أصبحت مناهج معاهد المعلمين الأزهرية أضحوكة هذا النوع من المعاهد فى العالم. فكيف تحذف المواد التربوية من معاهد هدفها الأساسى تربوى وهو تخريج معلمين ومحفظين تربويين، والسر فى ذلك أن وزارة التربية ألغت دور المعلمين والمعلمات نهائياً ، وبالتالى لم تعد تطبع تلك الكتب . فما كان من الأزهر إلا أن ألغى تدريس هاتين المادتين حتى لا يعطى فرصة لإعادة تدريس كتب التربية وعلم النفس ذات الصياغة الإسلامية التى كانت تدرس فى المعاهد الأزهرية قبل عام (١٩٨٨م) وكان أحد هذين الكتابين من تأليف (على أحمد لبن) كاتب هذه السطور ، حيث كان وقتها يعمل كموجه عام للمادة بالمعاهد الأزهرية . فلماذا ألغى الأزهر هذه الكتب ذات الحس الإسلامى ؟

(٣) أمثلة من المواد الشرعية والعربية

(١) المرحلة الإعدادية الأزهرية :

أ- إلغاء مادة التفسير من المرحلة الإعدادية .

ب- إلغاء مادة الحديث النبوى من المرحلة الإعدادية ، وأيضاً من الصف الأول الثانوى الأدبى .

جـ- حذف الموضوعات التى تحث على الجهاد فى سبيل الله من كتب الحديث.

(٢) المرحلة الثانوية علمى :

أ- تخفيض حصص التفسير والحديث .

ب- تخفيض حصص الفقه .

جـ- تخفيض حصص النحو والصرف .

وغير ذلك مما فصلناه بكتابنا «المؤامرة على الأزهر» رقم (٥) من هذه السلسلة .

القسم الثانى

منهج « المجتمع الإسلامى والتربية الوطنية » المقترح تدريسه بوزارة التربية والأزهر

الباب الأول

الوحدة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة اجتماعية

تعتبر الوحدة الإسلامية اليوم فريضة شرعية ، كما تعتبر ضرورة حياتية ، فالإسلام يفرض علينا أن نكون أمة واحدة ؛ لقوله تعالى ﴿ إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون ﴾[1] ولقول رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

كما أن العصر الذى نعيش فيه هو عصر التكتلات الدولية ، والغلبة فيه للأقوى ، ونحن لسنا أقل من الولايات المتحدة الأمريكية ، التى اتحدت ولاياتها الخمسون ، فعظم شأنها وتزعمت العالم ، وذلك برغم اختلاف جنسيات تلك الولايات ، وتعدُّد لغاتها ، وعقائدها ، وتقاليدها ، وعاداتها . وحتى البلاد التى لم تتحد وهى متقاربة فى الموقع أو الحضارة نجدها تقيم فيما بينها الأحلاف العسكرية ، والأسواق التجارية المشتركة ؛ تمهيداً للاتحاد العام فيما بينها . فما الذى يعوق الأمة الإسلامية عن تحقيق وحدتها؟

ما الذى يعوق الأمة ولديها أعظم مقومات الوحدة ؟ فالبلدان الإسلامية تتميز بوحدة العقيدة ، وتجاور البلدان ، وتنوُّع المناخ والغلاَّت ؛ فمنتجات المناطق الحارة تتمم حاجات المناطق المعتدلة ، والبلدان الغنية بثرواتها ومصادر الطاقة يمكنها أن تمول مشروعات البلدان الفقيرة ، والجهات المزدحمة بالسكان يمكن لأبنائها العمل فى الجهات المفتقرة إلى الأيدى العاملة ، وغير ذلك من عوامل قيام الوحدة الإسلامية التى لو تحققت لما تجرأت دولة ما على الاعتداء على أى أقلية إسلامية فى أى بقعة فى العالم.

فقيام الوحدة الإسلامية ، وإعادة نظام الخلافة ، وتنصيب خليفة للمسلمين ؛ تعد

---

(١) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء .

اليوم فرض عين وعلى كل مسلم أن يسعى لتحقيقها .

أولاً : تعريف بالعالم الإسلامى اليوم[1] :

يُطلَق العالم الإسلامى اليوم على البقاع التى يقطنها مسلمون تزيد نسبتهم على ٥٠٪ من مجموع السكان ، وهذا المفهوم الضيق للعالم الإسلامى ظهر فى الوقت الحاضر لاعتبارات سياسية مؤقتة . أما المفهوم الصحيح للعالم الإسلامى فيتسع ليشمل الأقليات الإسلامية فى الدول التى تقل نسبة المسلمين فيها عن ٥٠٪ ، كما يشمل البلدان الإسلامية التى فُرضت عليها عقائد مخالفة كالشيوعية والتى بدأت تستقل وتتحسس طريقها لممارسة عقيدتها بحرية فى محيط مجتمعها الإسلامى الكبير .

فالمسلم أينما كان يُعتبر عضواً فى المجتمع الإسلامى الكبير ، جنسيته عقيدته ، ودار الإسلام هى داره ، حتى ولو كان خارجاً عنها .

ثانياً : حدود العالم الإسلامى[2] :

يشمل العالم الإسلامى اليوم بقعة من الأرض ، تمتد من المحيط الأطلسى غرباً ، حتى المحيط الهادى شرقاً ، ومن خط طول عشرين (٢٠) إلى خط طول مائة وأربعين (١٤٠) شرقاً ، على مسافة تساوى (١٨٫٠٠٠) كيلو متر ؛ ولذلك فإن مناخ المجتمع الإسلامى يتنوع كما تتنوع تضاريسه ، وبالتالى تتنوع غلاته ومنتجاته وأعمال السكان فيه من رعى وزراعة إلى صناعة ، وغيرها .

ومساحة العالم الإسلامى تعادل نحو ربع مساحة اليابسة ، أى حوالى (٤٠ مليون كم٢)، كما تبلغ مساحة المزروع من أراضيه حوالى (٤٠٠ مليون) فدان ، تشكل ١١٪ من الأراضى المزروعة فى العالم . وهذه النسبة ضئيلة لا تتفق ونسبة المسلمين فى العالم. ويتمتع العالم الإسلامى بموقعه المتوسط مما يضفى عليه أهمية استراتيجية وحضارية ، كما أن هذا الموقع الممتاز ييسر مهمة نشر الدعوة الإسلامية شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾[3] . كيف لا والله تعالى قد حمل الأمة

(١ ، ٢) سكان العالم الإسلامى ، محمود شاكر ، ص ٧ - ٩ ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م

(٣) الآية ٤٣ من سورة البقرة .

المسلمة مهمة إقامة دين الإسلام فى الأرض ؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

كما يتمتع العالم الإسلامى بإمكانياته فى السيطرة على خطوط الملاحة الدولية عبر المحيطين الأطلسى والهندى ، وعبر البحرين الأحمر والمتوسط ، وعبر الخليج العربى وخليج عدن، وعبر المضيقين ملقا وباب المندب ، وعبر قناة السويس ودورها المهم فى الملاحة الدولية (انظر الخريطة).

ثالثًا : المساحة التي يشغلها المسلمون في قارات العالم :

تبلغ مساحة العالم الإسلامى ما يقرب من ربع مساحة اليابسة (٤٠ مليون كم٢) ويضم مجموعة من البشر تزيد على سدس سكان الكرة الأرضية (١٢٠٠ مليون نسمة) ، ويتركز المسلمون فى قارات العالم كما يلى :

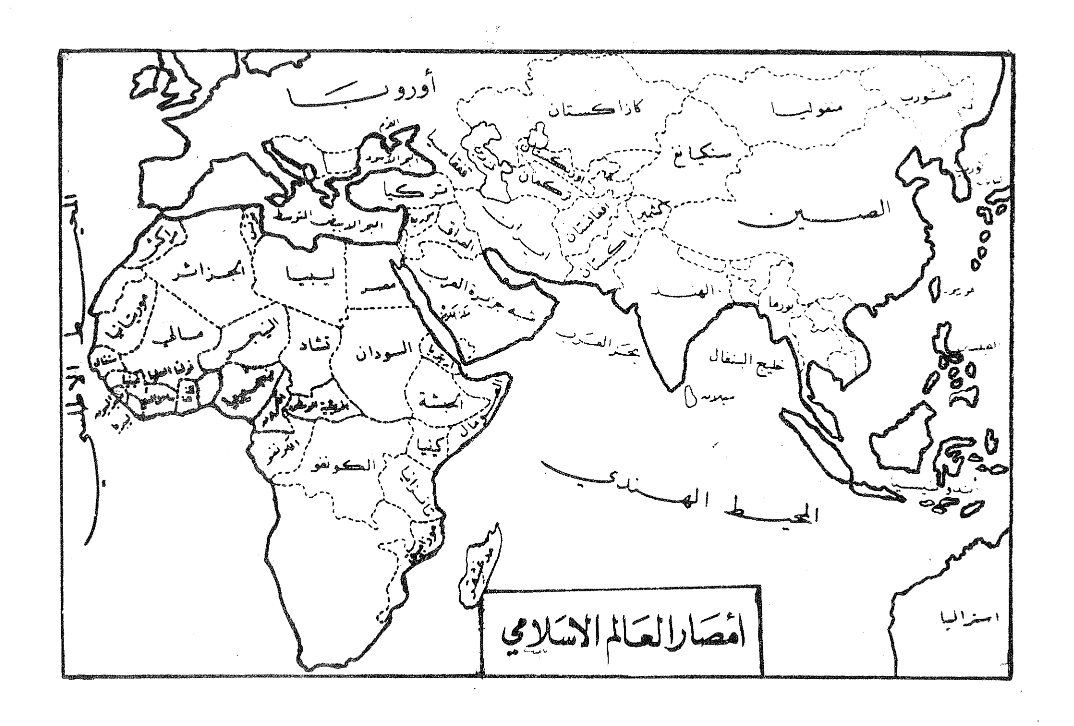
١- إفريقيا، حيث يشغل المسلمون ثلثى مساحتها ، وبخاصة شمال خط الاستواء.

٢- آسيا ، حيث يشغل المسلمون ثلثى مساحتها ، وبخاصة جنوبها وغربها ووسطها.

٣- أوربا ، حيث توجد تجمعات إسلامية كبيرة فى شرق أوربا ، وبخاصة فى ألبانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا والقرم ، وأيضًا فى أوربا .

٤- أمريكا وأستراليا ، فإن نسبة المسلمين فيهما وإن كانت لا تزال قليلة فهى فى الآونة الأخيرة آخذة فى الازدياد ، لدرجة أن الإسلام أصبح هو الديانة الثانية فى أمريكا.

وبذلك تكون بلاد المسلمين هى أكبر تجمع فى العالم تربطه عقيدة واحدة ، وتجمعه تصورات وأنظمة فكرية وروحية واجتماعية واحدة ، ولذا فإن قيام وحدة إسلامية من جديد لن يكون أمرًا صعبًا ؛ لأن رباط العقيدة يعتبر أقوى عوامل قيام الوحدة .


أوروبا
كازاكستان
منغوليا
سنكيانغ
الصين
تركيا
أفغانستان
كشمير
البحر الأبيض المتوسط
الجزائر
ليبيا
مصر
شبه جزيرة العرب
مالي
النيجر
تشاد
السودان
الحبشة
كينيا
الكونغو
الهند
بورما
بحر العرب
خليج البنغال
المحيط الهندي
أستراليا
أمصار العالم الإسلامي

رابعًا : مفهوم العالم الإسلامى فى صدر الإسلام :

كان العالم ينقسم فى صدر الإسلام إلى قسمين :

أ- دار الإسلام : وهى البلدان التى تطبق شريعة الإسلام .

ب- دار الكفر : وهى البلدان التى لا تطبق شريعة الإسلام .

وكانت دار الكفر تنقسم إلى قسمين :

١- دار السلم : وهى البلد التى يُسمَح فيها بالدعوة إلى الإسلام ، ولا تحول دون انتشاره.

٢- دار الحرب: وهى البلد التى لا يُسمَح فيها بالدعوة إلى الإسلام ؛ مما يوجِب مجاهدتهم .

خامسًا : تغير مفهوم الجهاد أدى إلى ضعف الأمة :

يروج أعداء الإسلام لفكرة أن الإسلام لم ينتشر بالسيف ؛ بهدف إبعاد صفة القوة عن الإسلام ، وليميتوا فكرة الجهاد فى سبيل نشر الدين . ونحن نقول حقًا إن الدعوة بالحسنى هى الأصل ، ولكن ما حكم الإسلام لو وقف أمام هذه الدعوة بالحسنى ظالم أو باغ أو طاغ؟ إن أعداء الإسلام يريدون أن يميتوا روح القوة والجهاد فى سبيل لله ، بطرح فكرة أن الإسلام دين السلم والدعة ، وليس دين القوة، وهو نفس ما تنادى به الدعوات المشبوهة ، كالقاديانية والبهائية ، وغيرها . لقد شرع الله الجهاد واستخدام القوة من أجل نشر الإسلام ، ولكن ليس معنى هذا أن نستخدم القوة لإجبار الناس على الإسلام ، وإنما نستخدمها ضد الظالمين الذين يحرمون الناس من اعتناق الدين بحريتهم .

إن هذا الدين نُصر بالسيف والسنان بعد أن وضحه النبى ﷺ بالحجة والبيان ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والطبرانى يقول رسول الله ﷺ : «بُعثتُ بين يدى الساعة بالسيف حتى يُعبَد اللهَ -تعالى- وحده لا شريك له ، وجُعل رزقى تحت رمحى، وجُعل الذل والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبّه بقوم فهو منهم»[1] .

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٨٢٨ للألبانى .

وعلماء أصول الفقه يُعرّفون الجهاد بأنه «دعوة قهرية يجب إقامته بقدر الإمكان حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم»[1] . وقد اقتضت حكمة الله -تعالى- أن يقوم صلاح الأرض على قانون الدفع ، أى الصراع بين الحق والباطل . والنصر فى النهاية للحق . قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[2].

كما اقتضت حكمة الله أن تكون دُور العبادة من كل نوع محمية بهذا القانون ، قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾[3] . وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الجهاد فرض عين يقوم به الفرد بنفسه كالصلاة والصوم؛ لأن الحق لابد له من قوة تحميه ، فكم من حق وضع بسبب خذلان أهله له، وكم من باطل رُفع لأن له أنصاراً ورجالا يضحُّون من أجله .

والدفع أو الجهاد يقوم على ركنين ، هما : الصبر الذى يظهر الشجاعة ، والكرم الذى هو بذل المال والروح . يقول الإمام ابن تيمية : إن الله -تعالى- توعد من تولى عن الجهاد بالنفس والمال فقال : ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير ﴾ وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن شر الصفات الجبن والبخل لأنهما يؤديان إلى فساد النفوس وتدمير المجتمعات ، حيث قال : «شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع»[4] . وقد تنبأ النبى ﷺ بحالة الوهن الذى أصاب أمتنا بسبب ترك الجهاد فقال عن الوهن بأنه حب الدنيا وكراهية الموت . وفى رواية «كراهية القتال»[5] .

---

(١) الدفاع عن أراضى المسلمين أهم فروض الأعيان د. عبد الله عزام ص ٢٠ ، مكتبة الإيمان بالإسكندرية ١٤٠٨هـ عن حاشية الشروانى على تحفة المحتاج على المنهاج ٩/ ٢١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥٠ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٤٠ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨ عن أبى داود والبخارى فى التاريخ ، انظر صحيح الجامع ٣٦٠٣ .

(٥) المرجع السابق ص : ١٩ عن سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٥٨ رواه أحمد وأبو داود .

جهاد الكفار نوعان :

١- جهاد الطلب (أى طلب الكفار فى بلادهم) وهو فرض كفاية . وأقله سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله ، وإرسال السرايا إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين[١] .

٢- جهاد الدفع (أى دفع الكفار من بلادنا) وهو فرض عين ، بل هو أهم فروض الأعيان . وقد اتفق على هذا السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمُحدّثون ، والمفسرون فى جميع العصور الإسلامية ، بحيث يخرج الولد للجهاد دون إذن والده ، والزوجة دون إذن زوجها ، والمَدين دون إذن دائنه ، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصّروا ، فعلى من يليهم ، ثم على من يليهم ؛ حتى يعم فرض العين الأرض كلها . ويقول ابن تيمية بأن قتال الدفع لا يُشترط له شرط كالزاد والرحلة ، بل يُدفَع بحسب الإمكان[٢] .

أيضاً إذا دخل العدو بلاد الإسلام كان دفعه واجباً على الأقرب فالأقرب ، وإنه يجب النفير إليه[٣] . وهذه الحالة تُعرف بالنفير العام، وقد قال الله تعالى: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[٤]، وقال الله تعالى : ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير ﴾[٥] . وقال ابن كثير : أمر الله -تعالى- بالنفير العام مع النبى ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله ، من الروم والكفرة من أهل الكتاب . وكان هذا النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون العدة ليغزوا المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلد المسلمين ؟ أفلا يكون النفير أولى ؟ قال أبو طلحة فى معنى «خفافاً وثقالاً» أى كهولاً وشباباً، وقال الحسن البصرى: أى فى العسر واليسر[٦] . وقال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فإذا استنفِرتم فانفروا»[٧] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ عن حاشية ابن عابدين ٣/ ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ عن كتاب الاختيارات العلمية لابن تيمية ملحق بالفتاوى الكبرى ٤/ ٦٠٨ .

(٣) نفسه ص ٢٣ عن الفتاوى ٤/ ٦٠٨ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٤١ . (٥) سورة التوبة ، آية : ٢٩ .

(٦) مختصر ابن كثير ٢/ ١٤٤ .

(٧) رواه البخارى .

سادساً :عوامل قيام الوحدة الإسلامية من جديد :

١- العامل الجغرافى : موقع العالم الإسلامى ووحدة أراضيه

يعيش المسلمون على بقعة من الأرض تمتد من المحيط إلى المحيط ، فلماذا لا يقيمون فيما بينهم اتحاداً يرفع من شأنهم ؟ إن معظم الدول المتقاربة موقعاً وحضارة تقيم فيما بينها الأحلاف العسكرية وتجيش الجيوش ، وتقيم الأسواق المشتركة ، وتعمل على اتحاد المنظمات المختلفة فى أراضيها ؛ تمهيداً للاتحاد التام بعد ذلك فيما بينها ، فما الذى يعوق أمة التوحيد عن تحقيق هذه الوحدة المنشودة ؟

٢- وحدة العقيدة :

العقيدة هى أقوى الروابط التى وحدت المسلمين على مدى التاريخ ، مهما تتباعد البلدان أو تختلف الأجناس والألوان . وقد علمتنا الأحداث أن قوتنا وضعفنا يتوقفان على مدى تمسكنا بديننا وعقيدتنا ، كما أن شهادة أن «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هى أصل وحدة الأمة الإسلامية ؛ لأن العبودية لله تعالى وحده هى التى توحد القلوب .

٣- وحدة العبادة :

كان لوحدة العبادة أثر كبير فى دعم وحدة المسلمين ، فإذا كانت قبلة الصلاة واحدة ، وشهر الصوم واحداً ، والحج يلتقى فيه المسلمون فى مكان واحد ، بلباس واحد، يؤدون مناسك واحدة ، وكلماتهم واحدة ؛ فإن كل ذلك مما يصهر قلوب المسلمين فى بوتقة واحدة .

٤- وحدة التاريخ :

تاريخ المسلمين هو تاريخ الإسلام نفسه من أول آدم ونوح إلى موسى وعيسى ومحمد ﷺ ، وهذا يملأ المسلم شعور بالعزة والكرامة ، إذ ليس له مع الشر أو الجاهلية أى صلات . لقوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

أى أن ما يعتز به المسلم قبل القبيلة والعشيرة هو الإسلام ، منذ آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ ، وإلى يوم الدين

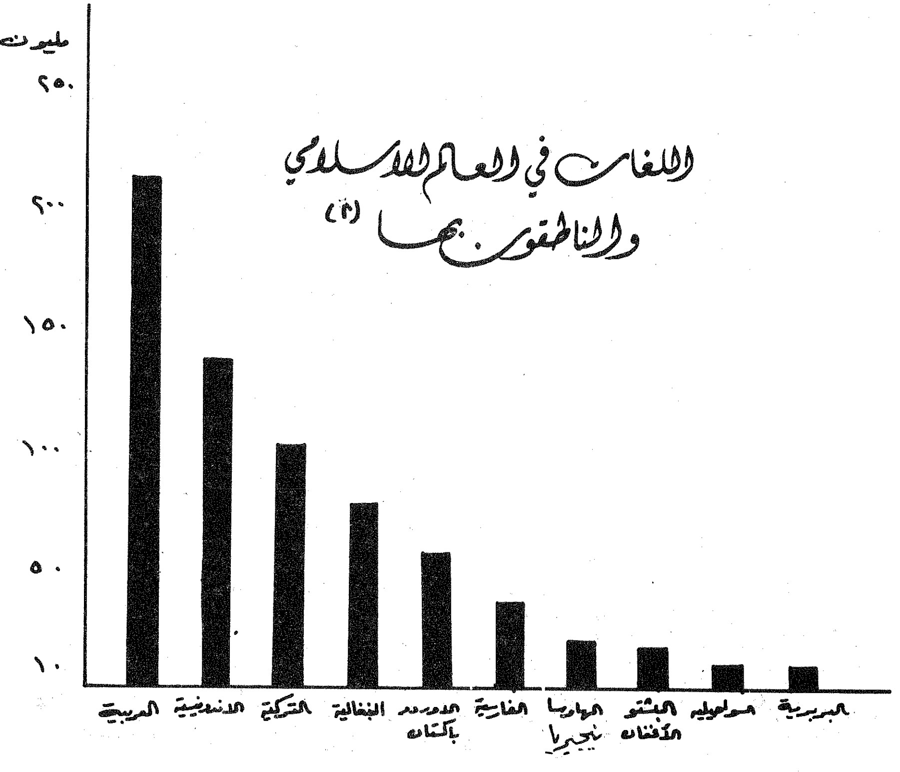
والمسلمون جميعاً ينظرون إلى تاريخهم الإسلامى نظرة احترام ، ويقدرون سيرة نبيهم محمد ﷺ وصحابته الكرام وسيرة الأنبياء جميعاً .كما يمجدون المجاهدين فى سبيل نصرة الدين من أمثال الخلفاء الراشدين ومحمد الفاتح وصلاح الدين الأيوبى وابن تيمية والسنوسى والمهدى وابن عبد الوهاب والأفغانى والبنا وغيرهم .

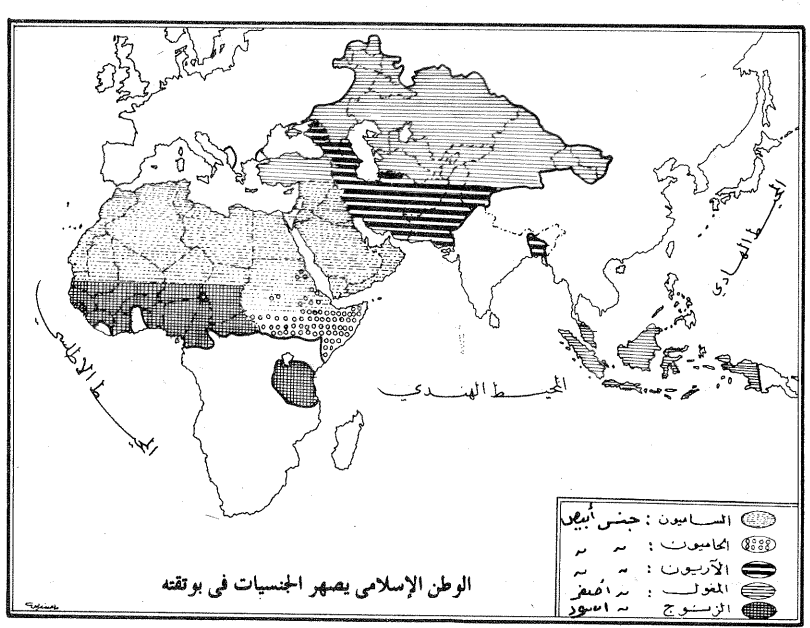
٥- وحدة اللغة :

اللغة العربية من أهم عوامل ترابط المسلمين ووحدتهم ؛ لأنها لغة الصلاة ولغة القرآن الكريم ، كما أن الإسلام لا يُفهم إلا بها ، ولهذا يقول الإمام الشافعى : «إن الله – تعالى – فرض على جميع الأمم ، تعلم اللسان العربى لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد له» ويقول فقهاء الحنفية : «للعربية فضل على سائر الألسن ، وهى لسان أهل الجنة ، من تعلمها أو علمها غيره فهو مأجور» . ولا يعنى هذا إفناء بقية اللغات فالله تعالى يقول : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ . بل تبقى العربية هى اللغة المشتركة التى تتفاهم بها الشعوب الإسلامية مهما تختلف ألسنتهم كما تبقى هى لغة العبادة . وكانت اللغات المحلية تستعمل الحروف العربية فى كتابتها . واستمر هذا الحال حتى عهد قريب حيث استبدلها المستعمر بالحروف اللاتينية فى بعض المجتمعات كإندونيسيا وماليزيا وتركيا والصومال . ورغم هذا فقد بقيت هناك دول إسلامية كثيرة تستخدم الحروف العربية فى كتابتها مثل اللغة الفارسية فى إيران والأوردية فى باكستان والهند والبشتو فى أفغانستان . وفوق هذا فإنه لا توجد دولة إسلامية من غير العرب إلا ويعرف كثير من أبنائها العربية عن حب ورغبة لدرجة أن هناك لغات محلية تصل نسبة الكلمات العربية فيها إلى حوالى ٥٠٪ .

٦- وحدة العادات والتقاليد :

كان الرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة لكل المسلمين ، وقد أدى ذلك إلى وحدة السلوك والآداب عند المسلمين فهم جميعاً ينامون على هيئة واحدة ، ولهم فى الأكل والشراب آداب واحدة ، وحتى إذا أرادوا الغائط فإن لهم أدباً واحداً ، هذا مع وحدة





الوطن الإسلامي يصهر الجنسيات في بوتقته

من كتاب العالم الإسلامي لمحمود شاكر ص ٤٩

الأخلاق الأساسية كالصبر والصدق وصلة الرحم ومعاونة الجار وصلاة الجماعة وتوقير الكبير والعطف على الصغير وتبادل الزيارات فى الأعياد وغير ذلك مما يقوى الروابط الاجتماعية . هذا بالإضافة إلى تشابه البلدان الإسلامية فى حفلات الزواج والعقيقة والختان وغيرها . كما تتصف المرأة فى المجتمع الإسلامى بالحرص على التحشم وخلق الحياء والعفة وغير ذلك[1] . ولا توجد دولة من الدول لها هذه الوحدة فى العادات والسلوك مثل ما للمسلمين .

٧- وحدة الدستور والقانون :

فمنابع الدستور والقانون للأمة الإسلامية واحدة ، هى الكتاب والسنة ، ولذلك فإن للمسلمين جميعاً قانوناً واحداً للأحوال الشخصية ، وقانوناً واحداً للمعاملات وقانوناً دولياً واحداً وقانوناً جنائياً واحداً ... وهكذا . والجميع مستمد من الكتاب والسنة ، وإذا وجدت مسألة قد اختلف فى فهمها المجتهدون فإن من قواعد التشريع الإسلامى أن يتعاون الخليفة ومجلس شوراه على ترجيح فهم على فهم ويكون لهذا الترجيح قوة القانون .

٨- وحدة الآمال والآلام :

آمال المسلمين وتصوراتهم واحدة ، وكلها تنبع من الكتاب والسنة . قال تعالى : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ فالقرآن والسنة هما البصيرة التى يرى بها المسلمون الأمور. وكلما ازداد المسلمون تأثراً بالإسلام ازدادت مشاعرهم وتصوراتهم فى التلاقى . فطريق المسلمين واحدة وآمالهم واحدة ، ولذلك قال النبى ﷺ : «من فارق الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» .

تلك الوحدة هى التى تجعل المسلمين فى كل بقاع الأرض يسارعون إلى نجدة إخوانهم المنكوبين فى أى مكان . كما حدث عندما حلت النكبة بفلسطين وأفغانستان والبوسنة وغيرها حيث تنادى المسلمون بالجهاد ؛ تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[2] وقول الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

---

(١) كتاب العالم الإسلامى لمحمود شاكر ص ٥٥ .

(٢) الآية رقم ١٠ من سورة الحجرات .

٩- وحدة القيادة ورابطة الإيمان :

للمسلمين قائد واحد (خليفة المسلمين) ومن واجبات هذا القائد إقامة الشريعة ، وقيادة المسلمين لاستكمال نشر الدين ، كما أن له على المسلمين فرض الطاعة فى حدود الشريعة . وبالإضافة لهذا فإن المسلمين أمة واحدة مترابطة ، ولاؤهم لبعضهم البعض . قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ وقال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

كما أن المؤمنين لا يوادون أحداً ممن عادى الله ورسوله ، قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

كما أن ارتباط المسلم بالأمة الإسلامية وإخوانه المسلمين يفوق ارتباطه بالقبيلة والعشيرة. أى أن هناك حزباً واحداً لله لا يتعدد، وطريقاً واحداً يوصل إليه، وشريعة واحدة . ولا يمنع هذا من مصاحبة الوالدين بالمعروف إذا اختلف الدين ما لم يقفا فى الصف المعادى للمسلمين . لذلك فقد شرع الله -تعالى- كل ما يقوى وحدة المسلمين كتحريم الغيبة والنميمة والعصبية والتنازع على الرئاسة والغل والحقد والتدابر والهجران والاحتكار أو أن يخطب أحد على خطبة أخيه والتنابز بالألقاب والتجسس وغيرها .

١٠- وحدة الحضارة :

تتميز الحضارة الإسلامية بكونها تبنى على أساس من معرفة الإنسان بمهمته فى الحياة والغاية التى خُلق من أجلها . ومعرفة أن السعادة والشقاء فى الآخرة يتوقفان على حسن عمل الإنسان فى الدنيا . لذا يجدّ المسلم وينتج عن حافز ينبثق من كيانه فيشع الخير والنور على الناس . وكل جديد ينتجه هذا المسلم يكون جديراً بأن يسمى حضارة . فالحضارة فى الإسلام هى التى تأتى ثمرة شعور الإنسان بتكريم الله له وأنه خليفته فى الأرض ، وأن الله سخر له كل شىء . أما الحضارات التى تشيد بكبت الحريات وبطش السلطات والإذلال والتحكم فى الأرزاق فلا يجوز أن نسميها حضارة ؛ لأنها لا تنبع من قيم إنسانية ولم تسخر لخدمة الإنسانية .

الباب الثانى

المراحل التى مرت بها الوحدة الإسلامية

أولاً : مرحلة قيادة العرب للعالم الإسلامى :

يقوم مفهوم الوحدة الإسلامية على أساس أن قيادة العالم الإسلامى تكون لأقدر الشعوب الإسلامية وأقواها ، وقد كان ذلك فى البداية للعرب ، فى عهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بنى أمية ، وبنى العباس ، وحتى سقوط بغداد فى يد التتار عام (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) حيث قام «عثمان بن أرطغرل» عام (٦٩٩هـ = ١٣٠٠م) بتأسيس الدولة العثمانية ، وفى عام (٩٢٣هـ = ١٥١٧م) تنازل الخليفة العباسى «محمد المتوكل» عن الخلافة للسلطان سليم الأول ، وأعلن أن آل عثمان أحق بالخلافة منه ؛ لأنهم أقدر على حماية العالم الإسلامى . وبذلك أصبحت دولة الخلافة العثمانية أقوى دولة فى العالم بلا منازع .

ثانيًا : مرحلة قيادة الأتراك العثمانيين للعالم الإسلامى :

بعد سقوط الخلافة العباسية على يد التتار ، قيض الله للعالم الإسلامى الأتراك العثمانيين الذين تولّوا حمايته من الغزو الصليبى أكثر من ستة قرون ، وقد امتدت حدود دولة الخلافة العثمانية من إيران شرقًا إلى أسوار ڤيينا غربا ومن الحبشة جنوبًا إلى المجر شمالاً حيث شملت كلاً من إيران ، والعراق ، وأذربيجان ، وأرمينيا ، والجزيرة العربية ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وتونس ، والجزائر حتى حدود المغرب ، وشبه جزيرة الأناضول ، وشبه جزيرة البلقان ، وأوربا الشرقية حتى جنوب ڤيينا ، وأبواب لينجراد ، بما فى ذلك بلجراد وصربيا والجبل الأسود وكوسوفو والسنجق والبوسنة والهرسك .. دولة يقوم نظامها على العقيدة الإسلامية ، ولم تكن دولة عنصرية أو عرقية ، وذلك حتى عام (١٩٠٩م) حينما وصل إلى الحكم الثوار العملاء . لقد بلغ عدد الذين تولّوا منصب الصدر الأعظم (أى رئاسة الوزراء) من الشعوب التى أكرمها الله بنصرة الإسلام مائتين وتسعين شخصاً ، منهم التركى والألبانى والبيزنطى والبوشناقى والشركسى والسلافى والعربى والشاشانى والأرمنى والرومى وغيرهم .

وفى عهد السلطان عبد الحميد تم مد أول خط سكة حديد عام (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) من استانبول إلى دمشق إلى المدينة المنورة بطول (١٣٠٣) كيلو متر . وبهذا تم ربط الحجاز بشبه جزيرة الأناضول ، وشبه جزيرة البلقان بأوربا الشرقية . وكانت طموحات السلطان عبد الحميد مد خط السكة الحديد إلى مكة وإلى اليمن وإلى الهند لربط أجزاء العالم الإسلامى . وقد قام الثوريون العرب بتدمير هذا الخط بتوجيهات من ضابط المخابرات الإنجليزى اليهودى «لورانس» ، كما كانت الدولة العثمانية حريصة على إنشاء دور العلم والمساجد والمطابع والمكتبات ومساكن لطلاب العلم والأساتذة . وكان كل مسلم يحمل سلاحه فى وضع الاستعداد للدفاع عن الدولة الإسلامية ، ولذلك كانت دولة الخلافة العثمانية هى أطول دولة عرفها التاريخ ، ومعروف أن عمر الدول لا يطول إلا بحضارة وعدل[١] .

المراحل التى مرت بها الخلافة العثمانية :

(١) : مرحلة ما قبل قيام الدولة الصفوية الشيعية فى إيران :

ظهر الأتراك العثمانيون كقوة إسلامية تعمل على حماية العالم الإسلامى من الصليبيين والتتار والإسبان والبرتغال وغيرهم ، وذلك بعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) وسقوط الأندلس عام (٨٩٨هـ = ١٤٩٢م) ، حيث تمكن العثمانيون من بسط نفوذهم على البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر الأسود وجعلها بحيرات إسلامية لا تجرؤ سفن الفرنجة على الاقتراب منها . وكان أول انتصار أحرزه عثمان مؤسس الدولة العثمانية على الروم عام (٧٠٠هـ = ١٣٠١م) ، واستمرت قيادة العثمانيين للعالم الإسلامى ستة قرون ، أى حتى قيام الانقلاب العسكرى ضد السلطان عبد الحميد وعزله عام (١٩٠٨م) ، وإعلان سقوط الخلافة عام (١٩٢٤م) على يد كمال أتاتورك (وهو من يهود الدونمة) .

كما تمكن العثمانيون من فتح القسطنطينية عام (٨٥٧هـ = ١٤٥٣م) فى عهد السلطان محمد الفاتح . وفى عام (٩٢٠هـ = ١٥١٤م) كانوا قد أتموا فتح بلاد البلقان ونشروا بها الإسلام ، ودخلوا بلاد اليونان والبلغار والصقالبة والألبان والمجر ورومانيا.

---

(١) العثمانيون فى التاريخ والحضارة . د. محمد حرب .

كما دخل السلطان سليم الأول أراضى النمسا وطرق أبواب عاصمتها ڤيينا . ولكنه توقف عندها ، ولم يستكمل فتحها ؛ بسبب إعلان قيام الدولة الشيعية بإيران عام (٩٠٦هـ) الموافق عام (١٥٠٠م) على يد إسماعيل الصفوى .

(٢) مرحلة ما بعد قيام الدولة الصفوية ومناوأتها لدولة الخلافة :

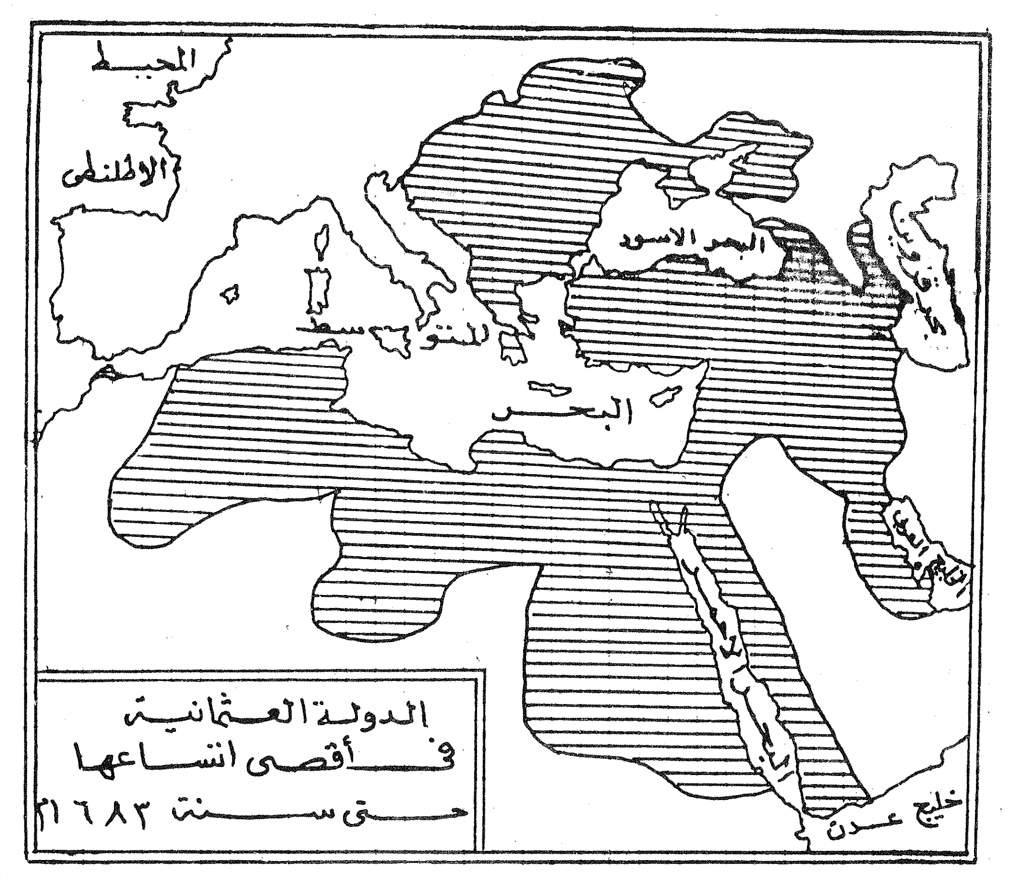
بعد إعلان قيام الدولة الصفوية فى أذربيجان ، تمكن إسماعيل الصفوى من بسط نفوذه على إيران ، وإعلان تخليه عن مذهب أهل السنة ، واعتناقه مذهب الشيعة «الإثنا عشرية» . وقد قام بفرض هذا المذهب على الشعب فى إيران رغم أصوله السنية هو وأتباعه ، وقد استمر حكم الصفويين لإيران قرابة قرنين ونصف قرن إلى سنة (١١٤٨هـ= ١٧٣٥م) ، وكانوا خلال حكمهم فى عداء شبه مستمر مع الخلافة العثمانية ، حيث نشبت بينهما الحروب التى أسهمت فى انحسار المد الإسلامى عن أوربا وتمزيق بلدان العالم الإسلامى وتفككها، ثم سقوطها فى براثن الاستعمار الغربى، ومما ساعد على ذلك اتفاق الشاه إسماعيل الصفوى مع البرتغاليين ضد دولة الخلافة العثمانية ، حيث سلمهم جزيرتى « هرمز» و«قشم» وهما على الخليج ؛ ليكونا قاعدة لهم فى حربهم ضد الخلافة العثمانية .

كما استعد إسماعيل الصفوى لغزو العراق لنشر المذهب الشيعى بها ؛ مما اضطر السلطان سليم الأول الخليفة العثمانى أن يوقف فتوحاته بأوربا ، ويترك ڤيينا التى كان يحاصرها ، ويتجه إلى إيران لإيقاف الخطر الشيعى الجديد ، وقد تمكن من هزيمة إسماعيل الصفوى عام (٩٢٠هـ = ١٥١٤م) فى موقعة « جالداران » .

وفى بداية المعارك مع الشيعة كانت كفة الخلافة العثمانية هى الراجحة ، وذلك طوال القرن العاشر الهجرى إلى أن تولى الشاه عباس الصفوى عرش إيران عام (٩٩٦هـ= ١٥٨٧م) ، فقام بالتحالف مع الإنجليز ضد المسلمين ، ومنحهم قاعدة فى ميناء «بندر عباس» ، ثم عاونه الإنجليز بعد ذلك فى تدريب الجيش الإيرانى ، وتزويده بالأسلحة ، حتى تمكن من الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم على دولة الخلافة . وقد استفاد الأوربيون من ذلك ؛ حيث كانت دولة الخلافة هى العقبة فى طريق احتلالهم للعالم الإسلامى، وكان ذلك من أهم أسباب هزيمة العثمانيين - والعالم

الإسلامى من ورائهم – أمام حملة الغرب الغازية .

وبعد سقوط الدولة الصفوية حكم إيران الملك نادر شاه الذى حاول التخفيف من عداء الشيعة لإخوانهم أهل السنة ، فأمر بعدم سب الخلفاء الراشدين من فوق المنابر ، ولكن الشيعة سرعان ما خرجوا عليه وقتلوه ، وما زال عداء الشيعة لأهل السنة سائداً فى إيران حتى اليوم ، فرغم أن عدد أهل السنة فى إيران يصل إلى حوالى (٢٠٪) فإنهم محرومون من تولى الوظائف الرئيسية فى الدولة ، ومن أداء صلاة العيدين ، ومن بناء مسجد لهم بطهران العاصمة ، فى حين يوجد بطهران (١٢) كنيسة للنصارى ومعبدان لليهود ومثلهما للمجوس ، وآخران للهندوس[1] .



(١) كتاب «الشيعة فى الميزان» د. محمد يوسف النجرامى ص ١٣٥ ، وكتاب «وماذا بعد البصرة» د. عبد المنعم حسنين ص ٢٤ ، وكتاب «إيران» لمحمود شاكر ص ٥٤ .

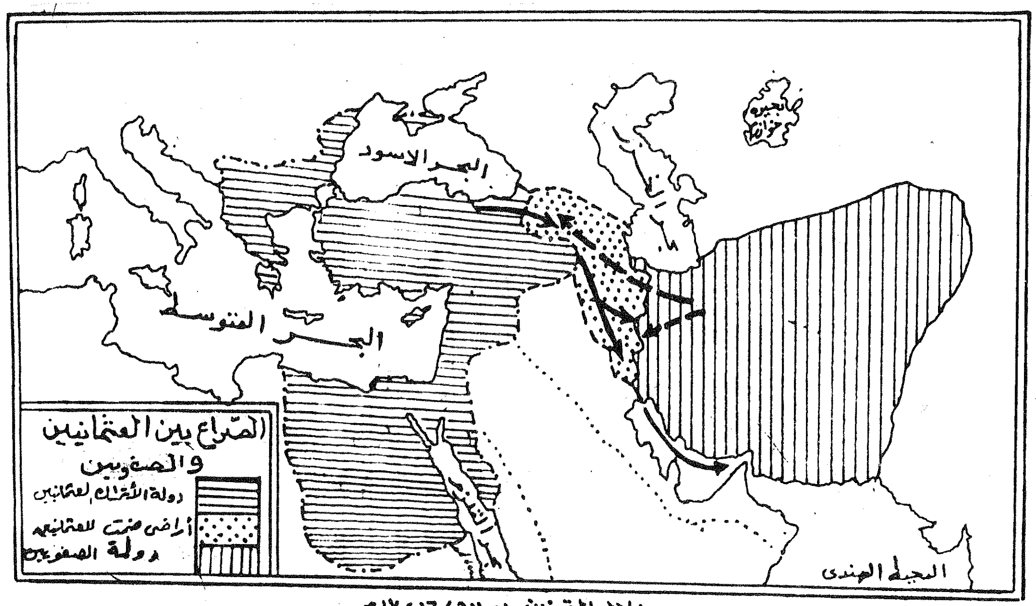
البحر الأسود

البحر المتوسط

خليج عدن

خريطة تركيا

حدود الدولة التركية بعد سقوط الخلافة سنة ١٩٢٤



خلال القرنين ١٠، ١١هـ/١٦، ١٧م

(٣) مرحلة تطويق الغرب للعالم الإسلامى :

أ- التطويق من الباب الخلفى (أى استعمار الأطراف المتباعدة) :

بدء ظهور الاستعمار الغربى :

عقب سقوط الأندلس عام (٨٩٨هـ = ١٤٩٢م) وظهور قوة إسبانيا والبرتغال فى الغرب ، بدأ غزوهما الاستعمارى للعالم الإسلامى ، ولكن من الباب الخلفى (أى من أطرافه البعيدة) ؛ لأن هذه الأجزاء كانت أشد عجزاً وضعفاً . فسقطت إندونيسيا ثم الهند والملايو ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر[١] ، هذا بالإضافة إلى قيامهم بمحاصرة سواحل العالم الإسلامى فى شمال إفريقيا وغربها ، وحصار موريتانيا والسنغال، وكذلك شرق إفريقيا كالصومال وتنزانيا ، بالإضافة إلى جزيرة العرب وسواحل الهند وماليزيا وإندونيسيا وغيرها . كل ذلك مما يعرف بالكشوف الجغرافية ، فى حين أنها لم تكن كشوفا جغرافية ، بقدر ما كانت حملات صليبية جديدة موجهة ضد العالم الإسلامى . فجميع هذه الأماكن كانت معروفة للمسلمين من قبل . وتسميتها بالكشوف الجغرافية كان لمجرد التمويه والخداع ؛ لإخفاء الهدف الأصلى ، وهو مهاجمة العالم الإسلامى ، ومحاولة تطويقه باحتلال المناطق الضعيفة والمتباعدة منه. وقد بدأ ذلك فى عهد الملك حنا الأول ملك البرتغال ، الذى سيَّر ابنه هنرى مع بعض رجاله إلى الساحل الغربى لإفريقيا ؛ لعله يجد بقعة من الأرض ليس بها مسلمون ، يجعلها قاعدة له يهاجم منها العالم الإسلامى ، ويحاول تطويقه بها . فسارت مراكبه نحو الجنوب . وكلما وصل إلى مكان وجد به مسلمين . حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح ، فى أقصى جنوب إفريقيا . (وفى هذا الوقت كانت الأندلس المسلمة قد ضعفت . واستطاع البرتغال والإسبان أن يخرجوا المسلمين منها) .

بعد ذلك خرجت من البرتغال بعثة مؤلفة من ثلاثة مراكب برئاسة « فاسكو دى جاما »الذى دار حول إفريقيا ، والتقى فى مالندى بالرحالة المسلم « ابن ماجد » الذى أرشده إلى طريق الهند . ولما وصل كلكتا وجد فيها أيضاً مسلمين . وعند عودته أغرق

---

(١) د. جمال حمدان «العالم الإسلامى المعاصر» ص ١٣١ .

سفينة حجاج كان عليها مائة من المسلمين الهنود ، وذلك فى خليج عمان ، وتكررت بعدها اعتداءات البرتغاليين على السواحل الإسلامية .

وكانت قد وصلت إلى مسامع الإسبان فكرة كروية الأرض ، وأن هناك سفناً إسلامية وصلت إلى الشرق عن طريق السير فى اتجاه الغرب . فقام البحارة الإسباني «كولومب» ومعه ثلاث سفن، بالتوجه غرباً، حتى وصل إلى أمريكا . وهناك وجد أيضاً مسلمين. وإن كانت هذه المعلومات قد طمست، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت ذلك .

وبعد «كولومب» قام «ماجلان» برحلاته إلى أمريكا ، ومنها إلى جزر الفلبين ، حيث وجد هناك أيضاً مسلمين . وقام المسلمون بقتله بعد محاولاته فرض النصرانية على السلطان هناك . ومن الآثار الإسلامية التى وجدت فى أمريكا عند اكتشافها محراب مكتوب عليه آيات قرآنية بالخط الكوفى . كما أن لغة الهنود الحمر هناك كانت بها كلمات عربية. وقد شهدت هذه المرحلة صراعاً شديداً بين الإسبان والبرتغال والهولنديين والإنجليز والفرنسيين على استعمار البلاد الإسلامية[١] .

* بدء ظهور الاستعمار الشرقى : أما من جهة الشرق فقد قامت روسيا القيصرية بالتوسع فى البلاد الإسلامية ، حيث احتلت القرم وبلاد التتار وغيرها ، وبلغت المساحة التى احتلتها من بلاد المسلمين حوالى (٤,٥ مليون كم٢) كانت تضم سبع وحدات سياسية ، آخرها قفقاسيا، التى جزئت إلى جمهوريات ذات استقلال ذاتى ، بعد ثورة الشيخ شامل سنة (١٢٧٢هـ = ١٨٥٥م) ، والتى قضى عليها وأسر قائدها .

أما الصين فقد ضمت إليها أجزاء من العالم الإسلامى ، تبلغ حوالى (مليونى كم٢)، فى مناطق «كانسو ونينغ هسيا» ، كما احتلت تركستان الشرقية .

واستمرت هذه المرحلة حتى بداية القرن (١٩) حيث جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر ، وبدأ البعض ينظر إلى الغرب نظرة تقدير ، وسمحوا لهم بفتح مدارس تبشيرية وتملُّك الأراضى ، وتولى الوظائف ، وغيرها من مظاهر بسط النفوذ والسيطرة .

---

(١) كتاب «إفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً» للدكتور جمال عبد الهادى ص ١٩٩ وما بعدها .

ب- التطويق من الباب الأمامى : (أى استعمار الدول العربية) :

جاء الدور على الباب الأمامى للعالم الإسلامى ، وهى الدول العربية ، حيث سقطت الجزائر وتونس ومصر والسودان فى براثن الاستعمار ، وفى نفس الوقت ظهرت حركات لمقاومة هذه الهجمة الصليبية الجديدة فى أماكن متعددة من العالم الإسلامى ، وكان يقودها علماء الأمة مثل عبدالقادر الجزائرى وعمر المختار فى شمال إفريقيا ، والمهدى فى السودان ، والأمير رابح فى تشاد ، والحاج عمر فى مالى ، والشيخ شامل فى أواسط آسيا و، الجمعيات الإسلامية فى إندونيسيا وغيرها(١) .

(٤) مرحلة اختراق الغرب للعالم الإسلامى وتفتيت وحدته

مع بداية القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الأولى ، ومع بداية سقوط الخلافة العثمانية سقطت كل من ليبيا ومراكش والشام والعراق ومصر والسودان وغيرها ، كما تقلص الإسلام فى بلاد البلقان . ولم يبقَ من الأقاليم الإسلامية بدون استعمار إلا اليمن وقلب الجزيرة العربية ، وكذلك هضبتا إيران والأناضول ، ولو أنهما لم تنجوا من بسط النفوذ والتقسيم . مما أعاد إلى الأذهان ذكرى الحروب الصليبية ، حتى إن اللورد «اللنبى» قال حينما دخل القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية » وقال القائد «جورو» حينما دخل دمشق : «لقد عدنا يا صلاح الدين»(٢) .

وقد صاحب سقوط الخلافة تمزيق وحدة البلاد الإسلامية وتحويلها إلى دويلات صغيرة . وفى هذا يقول الكولونيل «لورنس» فى تقريره إلى المخابرات البريطانية فى يناير عام (١٣٣٥هـ = ١٩١٦م) : « إن أهدافنا الرئيسية هى تفتيت الوحدة الإسلامية ، بدحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها . وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقون فى دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة وغير قابلة للتماسك » .

وفيما يلى بيان بهذه الدويلات :

* الدويلات الإسلامية التى احتلتها انجلترا :

أولاً : فى إفريقيا : مصر والسودان ونيچيريا وزنجبار وجزء من الصومال وتانزانيا وتوجو

---

(١) كتاب «العالم الإسلامى» لمحمود شاكر ص ١٥٧ وما بعدها .

(٢) كتاب «العالم الإسلامى المعاصر» للدكتور جمال حمدان ص ١٣٢ .

وكينيا وجنوب إفريقيا وغانا .

ثانيًا فى آسيا : الهند (ومعها باكستان) وبورما وسيام وإيران وأفغانستان وإمارات الخليج وفلسطين .

* الدويلات الإسلامية التى احتلتها فرنسا :

أولاً : فى أفريقيا : تونس والجزائر والمغرب وڤولتا العليا وساحل العاج وداهومى وغينيا ومالى والنيجر والكنغو وجزر القمر وجزء من الصومال وموريتانيا ومدغشقر والكاميرون وبنين .

ثانيًا : فى آسيا : سوريا ولبنان والهند الصينية .

* الدويلات الإسلامية التى احتلتها إيطاليا : ليبيا وإريتريا وجزء من الصومال .

* الدويلات الإسلامية التي احتلتها هولندا : جزيرتا جاوة وسومطرة[1] .

* الدويلات الإسلامية التى احتلتها روسيا :

أولاً : تركستان الغربية ، وهى خمس جمهوريات اتحادية كانت خاضعة للاتحاد السوڤييتى .

ثانيًا : جمهوريات روسيا الإسلامية ذات الاستقلال الذاتى فى نطاق الاتحاد السوفيتى وقتها .

ثالثًا : قفقاسيا : ١٤ جمهورية ومقاطعة وكانت تتبع موسكو مباشرة .

رابعًا : سيبيريا وكانت تتبع موسكو مباشرة .

* الدويلات الإسلامية التى احتلتها الصين: تركستان الشرقية وكانسو ونينغ هسيا.

* الدويلات الإسلامية الخاضعة للنفوذ الشيوعى بأوربا : ألبانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا[2].

---

(١) كتاب «المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية» لمحمود شاكر ص ١١٠ .

(٢) كتاب «المسلمون تحت السيطرة الشيوعية» لمحمود شاكر .

بعض الأساليب التى استخدمها المستعمر فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى :

١- عمل المستعمر على بذر بذور الفرقة والشقاق بين المسلمين بإثارة الخلافات المذهبية ، وأيضاً إثارة الخلافات الطائفية بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الأخرى ، فمثلاً تشير الإحصائيات إلى أن مجموع المذابح التى أقيمت للمسلمين بالهند قد بلغت (٨٠٨٠) مذبحة منذ الاستقلال عام (١٩٤٧م) . وأنه قد راح ضحيتها أكثر من مليون مسلم على يد الهندوس . هذا فوق حرمان المسلمين من حق الملكية وحق التعليم وحق تولى المناصب المهمة[١] . وأيضاً تشير الإحصائيات إلى أن عدد المسلمين فى قبرص عندما دخلها الإنجليز سنة (١٨٩٠م) كان ثلاثة أضعاف عدد النصارى ، وفى سنة (١٩٦٠م) أصبح عدد المسلمين أقل من ربع عدد النصارى[٢] .

٢- دعم الإرساليات التبشيرية التى تعمل على تنصير أطفال المسلمين ، أو صبغهم بثقافة المستعمر ، وتنشئتهم على منهجه ليكونوا بعد ذلك أداة طيعة تحكم المسلمين نيابة عن الغرب ولحسابه . وقد بلغ عدد الإرساليات بالهند وحدها حتى عام (١٣٧٧هـ = ١٩٣٧م) (٣٧٧) إرسالية يعمل بها (٣٦٣٤) مبشراً . ويتبعها (٥٠) كلية و (١٣٨) مدرسة ثانوية و(٤٢١) مدرسة ابتدائية و(٢٧٠) مدرسة منوعة و(١٧٠) جريدة تُدار جميعها لحساب الإرساليات التنصيرية[٣] .

٣- أما الاستعمار الشيوعى فقد عمل على مصادرة مساجد المسلمين التى بلغ عددها فى التركستان وحدها (٦٦٨٢) مسجداً . وكذلك الكتاتيب والمدارس الإسلامية، كما منع تدريس الدين لمن هم دون سن الرشد ، وإلا كانت العقوبة السجن . هذا فوق عمليات الطرد والتهجير الإجبارى إلى معسكرات العمل بسيبيريا ، والتى مات ضحيتها أكثر من مليون مسلم فى المدة من عام (١٩٣٧م) إلى عام (١٩٤١م) سواء بسبب عمليات القتل الجماعى ، أو بسبب السخرة وقسوة المعاملة[٤] .

---

(١) كتاب «الكيد الأحمر» لعبد الرحمن حسن ص ١٢٥ ، ٢٦٨ .

(٢) كتاب «المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية» لمحمود شاكر ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) كتاب «الكيد الأحمر» لعبد الرحمن حسن ص ٢٦٠ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) مرحلة إسقاط الخلافة العثمانية :

أ- دور يهود الدونمة فى هذه المؤامرة :

حمل يهود الدونمة لواء المؤامرة على دولة الخلافة العثمانية . ويتمركز هؤلاء اليهود فى مدينة سالونيك بتركيا ، وهم طائفة تتظاهر بالإسلام ، لتكيد له من داخله ، وقد قادوا حملة ضارية ضد السلطان عبد الحميد تحت لافتة « حزب الاتحاد والترقى » ، وذلك بعد أن رفض الخليفة بيع فلسطين لليهود فى مقابل قرض للدولة العثمانية قيمته (٥٠ مليون) من الجنيهات وخمسة ملايين جنيه هدية لشخص الخليفة .

قال العقيد التركى حسام الدين آرتورك فى كتابه «خفايا عهدين» الذى نشر فى استانبول عام (١٩٥٧م) : «قدم كل من تيودور هارتزل والحاخام الأكبر لليهود طلباً شخصياً إلى السلطان عبد الحميد يطلبان فيه إقامة وطن إسرائيلى مستقل فى القدس ، فما كان من عبد الحميد إلا أن طردهما . وفى عام (١٨٩٠م) أصدر السلطان عبد الحميد إرادتين سلطانيتين بعدم قبول الصهاينة فى الأراضى العثمانية . وأبلغ أوامره إلى نظارة الشئون العقارية بعدم بيع أراضى للمهاجرين إلى فلسطين»[(١)] .

ويقول محرم فوزى طوغاى فى مقاله فى (٢ مايو ١٩٤٧م) فى مجلة «بيوك طوغو» التركية بعنوان «فلسطين والمسألة اليهودية» : «إن تصرف عبد الحميد تجاه الحركة اليهودية كان معناه أن يتسبب فى هدم تاجه ، وهدم عرشه ، بل وهدم الدولة العثمانية كلها»[(٢)] .

وفى عام (١٩٠٩م) دبر الانقلابيون مؤامرة ضد السلطان عبد الحميد وقرروا عزله، وندبوا لإبلاغه بقرار العزل وفداً مكوناً من أربعة أشخاص لم يكن منهم تركى ولا عربى واحد ، وكان على رأس الوفد يهودى هو «إيمانويل قراصو» الذى لعب فيما بعد دوره المشئوم فى الاحتلال الإيطالى لليبيا . ونُفى السلطان عبد الحميد إلى سالونيك ، وهى مدينة يغلب عليها الطابع اليهودى وحبس فى بيت أحد اليهود واسمه «آلاتينى» إمعاناً فى إذلاله . وفى (١٠ فبراير ١٩١٨م) مات السلطان عبد الحميد . واشترك فى تشييع

---

(١) كتاب العثمانيون فى التاريخ والحضارة . د. محمد حرب ص ٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

جنازته كل شعب استانبول تقريباً[1] . كما منع السلطان عبد الحميد هجرة اليهود إلى فلسطين ، بل ومنع إقامة الزائرين منهم فى فلسطين لأكثر من شهر[2].

ويهود الدونمة كانوا (٦٠٠) أسرة يهودية ادعت الدخول فى الإسلام منذ عام (١٠٩٥ هـ = ١٦٨٣م) ولكنها ظلت معتنقة - خفية - اليهودية . وقد صرح بذلك رئيس «إسرائيل» الأسبق «إسحق بن زفى» فى كتابه «الدونمة» الصادر فى عام (١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م) حيث قال: «هناك طوائف دينية لا تزال تعتبر نفسها جزءاً من بنى إسرائيل منهم طائفة مهمة هى طائفة الدونمة ، وهى مسلمة فى الظاهر ، إلا أنها تقيم سراً الشعائر اليهودية» . وقال الأمير شكيب أرسلان عن يهود الدونمة : «هم طائفة مسلمة بالاسم فقط، والحقيقة أنها فئة من اليهود الزنادقة التى يسميها الأتراك دونما ، أى ذا الوجهين. وكانوا يتظاهرون بالتقوى والصلاح. ويرتادون المساجد ليخفوا سيئاتهم . وبفضل اعتناقهم للإسلام الصورى وتملقهم للحكام استطاعوا أن يسيطروا على مقاليد الأمور »[3] .

وجاء فى كتاب « جمهورية إسرائيل » لمؤلفه «باثر هيس» المسيحى الفرنسى قوله : «الدونمة هم أولئك اليهود الذين أسلموا وهم فئة كبيرة . ومنهم حاكم منطقة الدانوب مدحت باشا ، وهو ابن حاخام يهودى مجرى . وأكثر قادة جمعية الاتحاد والترقى من الدونمة . وقد سيطروا على الأمور المالية فى الدولة . كما سيطروا على الجيش والإدارة حتى وصلوا إلى أعلى المراتب »[4] .

قصة يهود الدونمة بإيجاز[5] :

فى عصر محاكم التفتيش بأوربا تعرض اليهود للاضطهاد وبخاصة فى إسبانيا ، ولم يجدوا لهم حامياً إلا الدولة العثمانية ؛ ولما عرف عنها من التسامح ، فهاجر كثير منهم

---

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) معركة التبشير والإسلام . د. عبد الجليل شلبى ، ص ٢٧١ ، ط ١٩٨٩م مؤسسة الخليج العربى .

(٣) كتاب «العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه» لمحمود شاكر ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) كتاب «القاديانية» لكلر زار أحمد مظاهرى وآخرين ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٥) دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية . د. محمد زغروت ص ١٤ ط ١٩٩١ دار التوزيع

إليها ، وبالذات فى عام (١٦٢٦م) . وكان منهم «ساباتاى» الذى ولد فى أزمير لأب يدعى «مورد خاى زفى» وفى عام (١٦٤٨م) ادعى ساباتاى أنه المسيح المنتظر . وفى عام (١٦٦٦م) زار فلسطين ، وتعرف على يهود القدس ثم عاد إلى أزمير ، وكانت شهرته قد طبقت الآفاق . ثم اتهم من السلطان العثمانى بأنه يُعدّ العدة للقيام بتمرد بهدف إقامة دولة يهودية فى فلسطين. وقبض على «ساباتاى» واستجوب فى هذا الاتهام من هيئة علمية برئاسة نائب الصدر الأعظم وعضوية شيخ الإسلام ، وأنكر «ساباتاى» هذا الادعاء ، وأشهر إسلامه ، وصار يدعى محمد البواب ؛ لأنه عين رئيس البوابين فى القصر السلطانى ، وأرسل «ساباتاى» إلى أتباعه نشرة يقول فيها : «الإله يهوه جعلنى مسلماً . أنا أخوكم محمد البواب . هكذا أمرنى فأطعت» . وقد طلب «ساباتاى» من السلطات العثمانية أن تفرج عنه ؛ ليقوم بدعوة اليهود إلى الإسلام فأذنت له . فانطلق بين اليهود يواصل دعوته إلى الإيمان به ، ويحثهم على إعلان إسلامهم فى الظاهر مع إبطانهم الساباتية - فلبسوا الجبب والعمائم - وعلى هذا أطلق الأتراك لقب الدونمة على أتباع «ساباتاى» . وهى تعنى المسلم ظاهراً واليهودى فعلاً وباطناً .

وقد قدم «ساباتاى» قائمة بأسس دعوته وجهها إلى كل المؤمنين به منها «يجب مراعاة الأتراك المسلمين ذراً للرماد فى أعينهم ، ويجب عدم إظهار الضيق بقدوم رمضان، أو عند تقديم أضحية العيد ، بل يجب المحافظة على جميع المظاهر الدينية الإسلامية ، وعدم الزواج من المسلمين ...» وبناء على تقارير إدارة الأمن العثمانية حول إقامة «ساباتاى» الطقوس اليهودية مع أتباعه تم نقله إلى ألبانيا ، وهناك توفى فى (٣٠/ ٩/ ١٦٧٥م) . ولم تنته دعوة «ساباتاى» بموته ، فقد خلفه على قيادة الجماعة عبد الغفور أفندى ، واسمه اليهودى «جوزيف بيلوسوف» ثم عبد الله يعقوب جلبى واسمه اليهودى «جوزيف كيريدو» وهكذا . واستقروا فى سالونيك وما زالوا . ولهم عاداتهم الخاصة مثل حلق شعورهم بالموس ، واحتفالهم بعيد الخروف (أعيادهم عشرون عيداً) وهذا العيد يحدث فى (٢٢ مارس) سنوياً ، حيث يشترط تساوى العدد بين النساء والرجال المتزوجين ويذبحون خروفاً ، ويلهون ، ثم تُطفأ الشموع ويسود الظلام ، والأولاد الذين يولدون من هذه الليلة يكتسبون قداسة . وقد قال أحد حاخامات سلانيك فى معرض احتجاجه على هذا العيد أن «من المحتمل أن يكون نسل المحتفلين بهذا العيد هذه

الليلة نسل غير مشروع» (انظر إبراهيم علاء الدين في كتابه ساباتاى زفى ومقالة رشدى قرقاش زاده – وهو من يهود الدونمة – بجريدة وقت التركية ، استانبول ١٩٢٤م) . ولكل فرد من يهود الدونمة إسمان اسم يهودى خاص ، واسم إسلامى رسمى عام .

وليهود الدونمة فى تركيا مدارس خاصة ومقابر خاصة . وقد تركزت جهودهم منذ الحرب العالمية الأولى فى دفع عجلة التغريب فى الحياة الاجتماعية التركية ، حيث بدءوا بالحرب على الحجاب ، والدعوة إلى اختلاط الشباب بالفتيات فى جامعة استانبول. كما تبنى يهود الدونمة فكرة مسابقة ملكة جمال تركيا إلى اليوم . ورغم أن عدد يهود الدونمة فى تركيا حوالى (٣٠ ألف) نسمة فإنهم يحتلون مراكز مهمة فى الدولة . وقد اندسوا فى خلايا حزب الاتحاد والترقى . وأداروا الجزء الأكبر من الانقلاب الذى أطاح بالسلطان عبد الحميد .

ومن الثابت أن أكبر دور النشر ، وأضخم دور الصحف التركية يمتلكها ويديرها الدونمة ، ويعد أحمد أمين يالمان (سلانيك ١٨٨٨م – استانبول ١٩٧٣م) أول صحفى من يهود الدونمة أسس عدة صحف ومجلات مهمة ، وتبنى قيام دولة أرمينية ودولة كردية تقتطعان من الأراضى التركية ، كما نادى بعد الحرب العالمية الأولى بضرورة قبول تركيا الحماية الأمريكية . وناصر قضايا الماسونية والشيوعيين الأتراك ، وكان معادياً للإسلام والمسلمين .

ويمتلك يهود الدونمة مؤسسة جريدة «حريت» وهى توزع يومياً من (٨٠ ألف) إلى مليون نسخة ، وتأخذ مكانتها بين (٢٠) صحيفة عالمية وشعارها تركيا للأتراك. ولهم أيضاً عدة مجلات . ويملك الدونمة أيضاً جريدة «كون آيدين» (صباح الخير) تطبع يومياً (٥٧٠ ألف) نسخة ، وهى ثانى الصحف بتركيا بعد «حريت» ، وجريدة «ترجمان» ، وهى ثالث الصحف اليومية التركية ، وجريدة «مليت» وهى رابع صحف تركيا توزيعاً ، وغيرها من صحف الدونمة . وقد دافعت أجهزة الإعلام الخاضعة للدونمة عن إسرائيل، وتشتد فى تبنى وجهات نظرها فى كل مواجهة ضد العرب . وقد نجحت أجهزة إعلام الدونمة فى إيجاد رأى عام تركى مؤيد لإسرائيل ضد العرب ،

ويستثنى من هذا حزب السلامة الوطنى[1] .

(ب) دور حزب الاتحاد والترقى فى المؤامرة :

أما حزب الاتحاد والترقى – الذى عمل يهود الدونمة من خلاله – فقد كان فى الأصل جمعية سرية أنشأها بعض أعضاء « تركيا الفتاة » عام (١٨٩٠م) ومن أهدافه المعلنة الدعوة إلى الحريات وقيام حياة نيابية وإعلان الدستور . أما أهدافه الخفية فكانت العمل على إسقاط الخلافة ، وتمزيق وحدة العالم الإسلامى والسيطرة عليه ، وفتح الطريق أمام إقامة دولة لليهود تمتد من النيل إلى الفرات ، لضمان استمرار تفكك العالم الإسلامى وضعفه .

وقد أصبح هذا التنظيم السرى حزباً عام (١٩٠٩م) بعد نجاحه فى إسقاط السلطان عبدالحميد الثانى خليفة المسلمين . وأصبح هذا الحزب هو صاحب السلطة الحقيقية فى الدولة العثمانية من عام (١٩٠٨م) إلى عام (١٩١٨م) . وكان معظم أعضاء هذه الجمعية أعضاء فى الجمعيات الماسونية (وهى جمعيات سرية أنشئت لخدمة أهداف اليهود ومنهم كمال أتاتورك) .

وقد اتخذت هذه الجمعية من إيقاظ النعرات القومية وسيلة للقضاء على الوحدة الإسلامية ، كالمناداة بالقومية الطورانية (التركية) . كما رفعوا شعار الحرية زوراً ، وقاموا بالانقلاب الأول فى (يوليو ١٩٠٨م) ، ولكنهم لم يستطيعوا إسقاط السلطان عبدالحميد الثانى إلا بانقلاب آخر وقع عام (١٩٠٩م) ، وقد قام بهذا الانقلاب الجيش الموالى لحزب الاتحاد والترقى الذى خرج من مدينة سالونيك ، وتحرك إلى استانبول وعزل السلطان عبد الحميد ، وكان فى هذا الجيش ضابطان شابان «أركان حرب» أحدهما مصطفى كمال أتاتورك ، والآخر عزيز المصرى ، وهو شركسى الأصل وليس مصرياً ، وكان علمانياً ملحداً ، فهو ابن الاتحاد والترقى فكرياً . وقد اتجه عزيز باشا المصرى بعد ذلك إلى الإيمان . وكان يصلى ويبكى نادماً على مسألتين ردَّدهما كثيراً على زواره ، وهما اشتراكه فى الثورة العربية الكبرى التى ضربت الترك فى المدينة المنورة من الخلف وغدرت بهم ، والأخرى حرمانه من الإيمان فترة طالت كثيراً فى حياته[2] .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦ – ٨٨ .　　　(٢) المرجع السابق ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(جـ) دور مصطفى كمال أتاتورك فى هذه المؤامرة :

ولد مصطفى كمال بمدينة سالونيك لأم من يهود الدونمة ، وأب غير شرعى قيل إنه من الصرب . وقد قام مصطفى كمال بانقلاب عسكرى عام (١٩٢٤م) ألغى فيه الخلافة الإسلامية . ورغم أنه كان يتظاهر بالإسلام ، ويدعى بأنه يسعى لنصرة الدين ، فإنه عمل على إلغاء الخلافة ، وإقصاء الإسلام عن الحكم . وقد رأى أعداء الإسلام أن إلغاء الخلافة الإسلامية ليس بالأمر السهل ، وأن ذلك لن يتحقق دون اصطناع بطل تحيط به هالة عظيمة من الأمجاد ، ويُصوَّر على أنه محقق البطولات التى تصنع له .

فقام الإنجليز بتحقيق هذا حيث مكنوا اليونانيين من احتلال أزمير ، ثم استدعوا مصطفى كمال ليصنعوا منه ذلك البطل الذى يحقق تلك الانتصارات الوهمية على اليونانيين ، فتتعلق به الجماهير ، وعندئذٍ يمكن توجيه الطعنة بواسطته فى كيان الأمة الإسلامية ، وسط تصفيق الجموع الهائجة التى لا تدرى ما يُحاك لها . وبالفعل مكن الإنجليز لدخول مصطفى كمال «أزمير» يوم (٩ سبتمبر) وطرد اليونانيين دون إطلاق رصاصة واحدة ، وقد ضخمت الدعاية الغربية الانتصارات المزعومة لمصطفى كمال ، ونشرتها بسرعة فى العالم الإسلامى ، وانخدع المسلمون بمصطفى كمال ، واستيقظ الأمل فى قلوبهم ، وتعلقت به الأفئدة ، حتى إن أحمد شوقى مدحه بقصيدة شهيرة شبهه فيها بخالد بن الوليد حيث قال :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

لكن المخدوعين بأتاتورك خاب أملهم فيه حين أذاع سنة (١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤م) صباح يوم ٣ آزار (مارس) نبأ إلغاء الخلافة وطرد الخليفة وأسرته من البلاد ، وإلغاء وزارتى الأوقاف والمحاكم الشرعية ، وتحويل المدارس الدينية إلى مدنية ، وإلغاء الكتاتيب .

أما إنجلترا فقد اعترفت باستقلال تركيا ، وقامت بالجلاء عنها ، بعد أن قام أتاتورك بإلغاء الخلافة . ولما وقف أحد نواب الإنجليز ليحتج على لورد «كيرزون» (وزير خارجية بريطانيا آنذاك) فى مجلس العموم البريطانى لاعترافه باستقلال تركيا أجابه بقوله : «إن القضية هى أن تركيا قد قضى عليها ، ولن تقوم لها قائمة ؛ لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها ، وهى الخلافة الإسلامية » .

ويقول الشيخ مصطفى صبرى ، شيخ الإسلام فى تركيا بعد أن التجأ إلى مصر : «تساهل الإنجليز مع مصطفى كمال ؛ ليجعلوا منه بطلاً ، فى حين تشددوا مع الخليفة حتى أعجزوه ، وذلك لتعظيم الفتنة بكمال أتاتورك فى أبصار المسلمين ، وبصائرهم». ثم قال :

« والرجل ممن لا تجد إنجلترا مثله من حيث إنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته – ولا سيما أدبياته – فى اليوم ما لا تهدمه إنجلترا نفسها فى عام، فلما ثبتت كفايته وقدرته فى هذا استخلفته لنفسها ، وانسحبت من بلادنا » .

لقد كان إلغاء الخلافة الإسلامية هو نقطة البداية فى سلسلة طويلة من الإجراءات التى قام بها أتاتورك نحو الفصل بين الدين والدولة فى تركيا ، وتنحية الإسلام عن الحياة ، فَحرَّم أتاتورك لبس الحجاب الإسلامى ، وفرض الأزياء الأوربية ، وألغى – لعدة سنوات – الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى ، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج ، وأغلق عدداً من المساجد ، وحول المسجد الكبير «أيا صوفيا» إلى كنيسة ثم إلى مخزن بعد ذلك ، كما منع تعدد الزوجات ، وأباح زواج المسلمة بغير المسلم ، وألغى عطلة الجمعة ؛ وبالتالى منع المسلمين من صلاة الجمعة ، وجعل العطلة يوم الأحد ، ومنع الأذان للصلاة باللغة العربية ، وأصر على أن يكون بالتركية ، ثم ألغى بعد ذلك الحرف العربى فى الكتابة ، واستبدل به الحروف اللاتينية ، وكان ذلك يعنى قطع جذور الثقافة التركية عن أصولها الإسلامية . وألغى من الدستور التركى المادة التى تنص على أن دين الدولة الإسلام وذلك عام (١٩٢٨م) ، ونص فى الدستور على أن تركيا دولة علمانية عام (١٩٣٧م) . وألغى الشريعة الإسلامية ، واستعاض عنها بالقانون الإيطالى والقانون السويسرى ، وألغى منصب شيخ الإسلام . وأجبر الأئمة على ارتداء نوع من القبعات بدل العمامة . وألغى التقويم الهجرى . وأباح الردة عن الإسلام . وساوى بين الذكر والأنثى فى الميراث، وأعدم أكثر من (١٥٠) من العلماء ورجال الدولة بحجة معارضتهم للثورة عام (١٩٣٢م) وألغى من اسمه كلمة مصطفى واكتفى بكلمة كمال.

وتُوفِّى أتاتورك سنة (١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨م) وقد عاش دون زوجة ودون أولاد، عدا زوجته « لطيفة هانم » التى أقامت معه سنة ولم تصبر على مباذله وفسقه ، إذ كان

مسكنه مليئًا بكل أنواع الفجور من خمر ونساء .

وحين كان أتاتورك على فراش الموت استدعى « بيرسى لورين » السفير البريطانى إلى قصر الرياسة فى استانبول ، وعرض عليه أن يخلفه فى منصب الرئيس، إذ كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته ، ولكن السفير اعتذر له عن عدم قبول هذا المنصب ، وعند دفنه اختلف قواده هل يصلون عليه أم لا فى ظل علمانية الدولة[1] .

(د) تعلق قلوب المسلمين بالخلافة العثمانية حتى بعد إسقاط الأعداء لها :

قال د. محمد حرب[2] : «كان للعثمانيين منزلة عالية فى قلوب العرب والمسلمين حتى فى وقت انهيار الدولة العثمانية ، ففى حرب الاستقلال التركية قام عثمان خوجه رئيس جمهورية بخارى فى تركستان الغربية عام (١٩١٨م) بجمع إعانة للشعب التركى من شعب تركستان الغربية بلغت خمسة ملايين جنيه ذهبًا (مائة مليون روبل) ، ولكن لينين صادر منها عشرة ملايين ، وأرسل التسعين مليونًا الباقية إلى أنقره . كما أرسلت الهند إلى أنقره إعانة مالية قدرها نصف مليون جنيه ذهبًا . وأرسلت مصر إلى أنقره – فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى – ٩٠٠ ألف جنيه ذهبًا» .

ويقول د. محمد حرب أيضًا : «إننا نعلم أن أهل المغرب العربى هم الذين أرسلوا إلى السلطان سليمان القانونى ثانى الخلفاء العثمانيين عريضة – نشرها د. التميمى فى المجلة التاريخية المغربية – يحثونه فيها على قبول انضمام المغرب العربى إليه . وبالمثل رحب المشرق العربى بالعثمانيين من قبل قدوم الحملة العثمانية إلى الشام ومصر ، وذلك عندما طلب الشعب المصرى الانضمام إلى ما اعتبره الوحدة الإسلامية فى ظلال دولة قوية تتمسك بالإسلام . وأنه كما كان المغرب ينتظر المنقذ له من الظلم الأوربى وخطر

---

(١) كتاب «العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه» لمحمود شاكر ص ٥٩ ، ٦٠ ، وكتاب «منهج كتابة التاريخ الإسلامى» د. جمال عبد الهادى ص ١٤٥ ، دائرة المعارف الإسلامية «سفير» جـ ٣ ص ١٢٣، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، محمد محمد حسين .

(٢) العثمانيون فى التاريخ والحضارة د. محمد حرب إصدار المركز المصرى للدراسات العثمانية بالقاهرة ص٣١٣ .

الاعتداء الصليبى على الكيان المغربى من أرض وأرواح وممتلكات وعرض ودين ، فالمشرق العربى أيضاً كان ينتظر المنقذ له من جبروت الدولة المملوكية وظلمها وتعطيلها الأحكام الشرعية ، وكان هذا المنقذ متمثلاً فى الدولة العثمانية التى كانت تسعى منذ قيامها إلى وحدة إسلامية . قال عبد الله بن رضوان فى كتابه (تاريخ مصر) (مخطوط رقم ٤٩٧١ بمكتبة بايزيد فى استانبول) : إن علماء مصر وهم نبض الشعب المصرى وممثلوه كانوا يلتقون سراً بكل سفير عثمانى يأتى إلى مصر ويقصون عليه (شكواهم من جور الغورى ومخالفته للشرع الشريف) ويستنهضون عدالة السلطان العثمانى لكى يأتى ويأخذ مصر .
أما فى الشام فإننا نرى ترحيب الشعب السورى بمقدم العثمانيين قبل قدومهم الفعلى . وعلى سبيل المثال، كان الغورى قد تحرك من مصر بجيوشه إلى الشام لملاقاة العثمانيين، وعند دخوله إلى حلب ، فوجئ بأن الأهالى هناك قد لقنوا أطفالهم صيحة (ينصرك الله العظيم يا سلطان سليم) . وفى حلب اجتمع العلماء والقضاة والأعيان والأشراف وأهل الرأى مع الشعب ، وتباحثوا فى حالهم . ثم قرروا أن يتولى قضاة المذاهب الأربعة والأشراف كتابة عريضة نيابة عن الجميع ، يخاطبون فيها السلطان العثمانى سليم الأول ويقولون إن الشعب السورى ضاق بالظلم المملوكى ، وإن حكام المماليك يخالفون الشرع الشريف ، وإن السلطان إذا قرر الزحف على السلطنة المملوكية ، فإن الشعب سيرحب به ...»[1] وهذه العريضة مخطوطة فى الأرشيف العثمانى فى متحف طوب كابى فى استانبول رقم (١١٦٣٤) (٢٦) .

ثالثًا : مرحلة قيادة الحركات الإسلامية للمقاومة ، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية :

أ- دور الحركات الإصلاحية الثلاث (الوهابية والسنوسية والمهدية) : فى مقاومة الاستعمار والتمهيد لفكرة « الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية » :

أخذ المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية يفكرون فى كيفية تجاوز الانتكاسات التى مرت بها الأمة ، ومن هؤلاء المفكرين « محمد بن عبد الوهاب » فى « نجد » الذى نادى بمحاربة البدع وترسيخ عقيدة التوحيد الخالية من خرافات الدراويش وشطحاتهم . و«محمد بن على السنوسى » فى « ليبيا » الذى نادى بتطبيق الكتاب والسنة وتوحيد

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

كلمة المسلمين وعدم قصر المسجد على العبادة ، وضم المدرسة والمزرعة والمتجر إليه ؛ لأن الإسلام دين ودولة والداعية مسئول عن تدبير شئون الدين والدنيا . و « محمد أحمد بن عبدالله » الملقب بالمهدى فى « السودان » الذى دعا إلى العودة إلى الكتاب والسنة، كما دعا إلى تكامل الحياة الدينية والسياسية ، ومحاربة المستعمر ، بالإضافة إلى محاربة الخرافات[1] .

ب- دور الأفغانى وجماعته فى الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية :

فى أواخر القرن (١٩) وأوائل القرن (٢٠) « كانت حركات الإصلاح الدينية السابقة تمثل مقدمات لظهور فكرة الجامعة الإسلامية ، حيث اهتمت بإصلاح الدين من جهة ، والدولة من جهة ثانية ، ومقاومة المستعمر من جهة ثالثة . وقد حمل لواء الدعوة إلى هذه الفكرة الإصلاحية وتأسيس الجامعة الإسلامية جمال الدين الأفغانى ، الذى وُلد فى عام (١٨٢٨م) فى بلاد الأفغان ، وكرس كل حياته وجهاده لهذه الدعوة.. متنقلاً بين الدول الإسلامية لجمع شمل المسلمين فى كل أقطار العالم تحت لواء جامعة واحدة ، وإقامة الحكم وفقاً لمبادئ الإسلام فى الشورى والعدالة ، على أن تكون زعامة الجامعة الإسلامية لأى مسلم صالح ، دون اشتراط أن يكون عربياً ، والعمل على تجديد الإسلام، وتحريره من الجمود، وتنقيته من الشوائب، واستعادة مجده السابق.

وكان الأفغانى بعد كثرة تنقلاته قد استقر فى مصر وجعلها مركزاً لنشر دعوته الجديدة إلى أن تم نفيه منها من قبل الاستعمار البريطانى ؛ لخطورته السياسية والدينية . ورغم خروج الأفغانى من مصر استطاع أن يؤسس مدرسة فكرية إسلامية فيها استكملت مسيرته فى دعوته الإصلاحية ، وكان من أقطابها : عبدالرحمن الكواكبى ، والشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا [2] .

---

(١) هاتان الفقرتان أخذتا نصاً من كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى ط (٩١- ١٩٩٢م) ص ٢٠ ، ٧٨ ، ولكن للأسف حذف هذان النصان من الطبعات التالية . وهكذا جاءت المناهج الجديدة لتحرم الطلاب من معرفة مثل هذه الحركات الإصلاحية التى قاومت الغزاة ، ومهدت لظهور فكرة الوحدة الإسلامية من جديد .

(٢) كتاب «العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه» لمحمود شاكر ص ٥٩ ، ٦٠ ، وكتاب «منهج كتابة التاريخ الإسلامى» د. جمال عبد الهادى ص ١٤٥، ودائرة المعارف الإسلامية «سفير» جـ ٣ ص ١٢٣.

جـ- دور حسن البنا وجماعته فى الدعوة إلي الوحدة ومقاومة الاستعمار :

ظهرت جماعة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية فى النصف الأول من القرن العشرين لتواصل المسيرة فى الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وتجديد الدين ومقاومة الاستعمار . أسس هذه الجماعة الشيخ حسن البنا عام (١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م) . أى بعد أربعة أعوام من إلغاء الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك عام (١٣٤٢هـ= ١٩٢٤م) واشتداد حملات التنصير ، وظهور الأفكار المضادة للإسلام ، إلى جانب شيوع نمط الحياة الاجتماعى الأوربى . وقد هيأ الله النجاح لهذه الدعوة فيما قابلها من محن وعقبات ، وما زالت تواصل كفاحها على أساس من فهمها الشامل للإسلام ، القائم على الكتاب والسنة ، والذى يتناول مظاهر الحياة المعاصرة جميعها . كما يتناول شئون الفرد والأسرة والمجتمع والبشرية كلها . وقد نجحت الجماعة فى مقاومة الفهم الجزئى للإسلام ، الذى يقصر دور الفرد على العلاقة التى بينه وبين ربه ، مع عزله عما سوى ذلك من شئون الحياة ، وهو فهم علمانى للدين ، كما عرفته أوربا ، ونقله العلمانيون إلى المجتمعات المسلمة . وهناك سمات أخرى لهذه الجماعة منها :

البعد عن مواطن الخلاف ، وتجنب التعصب المذهبى، وتجنب الغلو والتشدد ، والأخذ بمبدأ الوسطية والاعتدال ، والتدرج والمرحلية فى تحقيق الإصلاح ، وقد اتسعت دائرة المنادين بهذا الفهم الشامل للإسلام داخل مصر وخارجها ، بعد أن كانت الفكرة العلمانية الجزئية عن الدين قد بدأت تؤثر فى الأجيال الجديدة من المسلمين .

وقد وقف البنا وجماعته بجانب حركة الجهاد الفلسطينية منذ سنة (١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م) إلى سنة (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م). وفى عام (١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م) تكونت وحدات شعبية مسلحة من الإخوان لتقوم بأداء فريضة الجهاد ، وطرد البريطانيين من مصر ، وتحرير فلسطين ، ودفع الخطر الصهيونى ، وعُرفت هذه الوحدات باسم «النظام الخاص» . وفى عام (١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م) جمعت هذه الوحدات كميات كبيرة من الأسلحة المتخلفة من الحرب العالمية الثانية فى صحراء مصر الغربية ، بهدف تسليح المقاومة الفلسطينية والمتطوعين للجهاد فى فلسطين . وفى عام (١٩٤٨م) أعلنت

بريطانيا يوم (١٤ مايو) سحب قواتها من فلسطين وفى يوم (١٥ مايو) أعلنت العصابات الصهيونية قيام دولة إسرائيل ، ونشبت فى اليوم نفسه الحرب بين العرب وإسرائيل . وكانت كتائب المجاهدين من الإخوان قد وصلت إلى فلسطين قبل ذلك بشهرين وشاركهم الجهاد الإخوان المسلمون السوريون والأردنيون وفى (١٨ ديسمبر ١٩٤٨م) صدر قرار حل الجماعة ؛ بحجة تخطيطهم للقيام بثورة ضد الملك . وهو ما برأهم فيه القضاء ، وفى يوم (١٢ فبراير ١٩٤٩م) قُتل الشيخ حسن البنا بتدبير الحكومة والملك وإنجلترا وفرنسا وأمريكا، وهو نفس يوم عيد ميلاد الملك ، وهناك وثيقة بريطانية برقم قيد (١٨٤٣/ى/ ٤٨ فى ١٣/١١/ ١٩٤٨م) إلى رئيس المخابرات رقم (١٣) جاء فيها:

«فيما يخص الاجتماع فى فايد فى (١٠) الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانى وأمريكا وفرنسا أخطركم أنه سنتخذ الإجراءات لحل جمعية الإخوان المسلمين ...» وبالفعل حل النقراشى الجماعة وسحب تشكيلاتها العسكرية من فلسطين وتم إيداع الإخوان المعتقلات ؛ حتى يخلو الجو أمام اليهود لتحقيق أهدافهم . وفى عام (١٣٧٠هـ = ١٩٥١م) عادت الجماعة ، وتولّى المستشار حسن الهضيبى رئاستها ، وفى نفس العام نادى الإخوان بالجهاد والمقاومة المسلحة ضد الإنجليز فى منطقة قنال السويس ، وقدموا عدداً من الشهداء . وفى (٢٨صفر ١٣٧٤هـ = ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م) وقعت محاولة لاغتيال جمال عبدالناصر ، قيل أنها كانت من تدبيره؛ حتى تكون مبرراً لإعادة حل الجماعة والبطش بها . وبالفعل قام عبد الناصر بإعدام عدد من قادة الجماعة ، منهم الشيخ محمد فرغلى قائد المجاهدين الإخوان فى حرب فلسطين ضد اليهود ، ويوسف طلعت قائد المجاهدين الإخوان فى حرب القنال ضد الإنجليز ، كما قتل عشرات منهم تحت التعذيب بالسجون .

وفى عام (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) عاد عبدالناصر يبطش بالإخوان المسلمين ، حيث أعتقل حوالى (٢٠ ألفاً) منهم وأعدم بعض رجالاتهم ، وعلى رأسهم سيد قطب، وفى عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) تُوفِّى الهضيبى وأصبح عمر التلمسانى مرشداً عاماً للجماعة ، واستأنفت الجماعة نشاطها الإصلاحى رغم عدم اعتراف الحكومة بوجودها القانونى أو الرسمى ، وأعلنت الجماعة من خلال مجلتها « الدعوة » رفض معاهدة

السلام مع إسرائيل عام (١٩٧٩م) . وفى عام (١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م) تُوفِّى التلمسانى ، وخلفه محمد حامد أبو النصر كمرشد عام للجماعة . وقد زاد نشاط الإخوان تدريجياً فى مجال العمل السياسى ، حيث فازوا بستة مقاعد فى مجلس الشعب فى عام (١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م) . وفى عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) فازوا بستة وثلاثين مقعداً .

ومنذ الأربعينيات تعدَّت دعوة الإخوان حدود مصر ، وأصبح للجماعة حضور فى أكثر من ثمانين دولة إسلامية وغير إسلامية ، كما تم تكوين التنظيم الدولى للإخوان المسلمين ، وصدرت لائحته الأساسية عام (١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م)[1] .

---

(١) دائرة سفير للمعارف الإسلامية ، صفحات ٧٠٩ - ٧٢٠ جـ ٩ .
(٢) محمود شاكر



المراجع

- سكان العالم الإسلامى – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٣م .

- صحيح الجامع الصغير للألبانى .

- الدفاع عن أراضى المسلمين أهم فروض الأعيان – د. عبد الله عزام – مكتبة الإيمان بالإسكندرية .

- مختصر ابن كثير .

- العثمانيون فى التاريخ والحضارة – د. محمد حرب – إصدار المركز المصرى للدراسات العثمانية بالقاهرة .

- الشيعة فى الميزان – د. محمد يوسف النجرامى .

- ماذا بعد البصرة – د. عبد المنعم حسنين .

- إيران – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة – بيروت .

- الفتنة الخومينية – محمد عبد القادر .

- دائرة سفير للمعارف الإسلامية – القاهرة .

- العالم الإسلامى المعاصر – د. جمال حمدان – دار الهلال – ١٩٩٣م .

- إفريقيا التى يُراد لها أن تموت جوعاً – د. جمال عبد الهادى – دار الوفاء بالمنصورة .

- المسلمون تحت سيطرة الرأسمالية – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة .

- الكيد الأحمر – عبد الرحمن حسن .

- العالم الإسلامى ومحاولة السيطرة عليه – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة – بيروت .

- القاديانية – كلر زار أحمد مظاهرى .

- دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية – د. محمد زغروت – دار التوزيع الإسلامية بالقاهرة .

- منهج كتابة التاريخ الإسلامى – د. جمال عبد الهادى – دار الوفاء بالمنصورة .

- كتاب التربية الوطنية للصف الثانى الثانوى – ط ٩١ – ١٩٩٢م – طباعة وزارة التربية والتعليم .



محتويات الكتاب

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت: ٣٤٢٧٢١/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠
ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

رقم الإيداع : ١٩٩٤/١١٥٠١م
I.S.B.N:977-15 -0154 -2